

دراسة وتحقيق
الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي

رسالة راهب فرنسي إلى المسلمين

وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها



● صدر حديثاً عن « دار الصحوة » :

- * الفقه الإسلامى بين الأصالة والتجديد .
د. يوسف القرضاوى
- * عوامل السعة والمرونة فى الشريعة الإسلامية .
د. يوسف القرضاوى
- * أين الخلل ؟ ! .

د. يوسف القرضاوى

- * مقومات الحياة من القرآن .
د. إبراهيم الدسوقى خميس
- * صفحات مطوية من الثقافة الإسلامية .
د. محمد السعيد جمال الدين

ونحن دائماً فى خدمة القارئ العزيز

« دار الصحوة »

حدائق حلوان بجوار عمارات المهندسين
شارع جمال عبد الناصر
القاهرة

الدكتور / محمد عبد الله الشرقاوي

مكتبة جامعة القاهرة

٢٠١٢ م - ١٤٣٤ هـ

رسالة راهب فرنسيًا إلى المسلمين
وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها

مكتبة دار الصحوة للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

دار الصحوة
للنشر والتوزيع
بالقاهرة

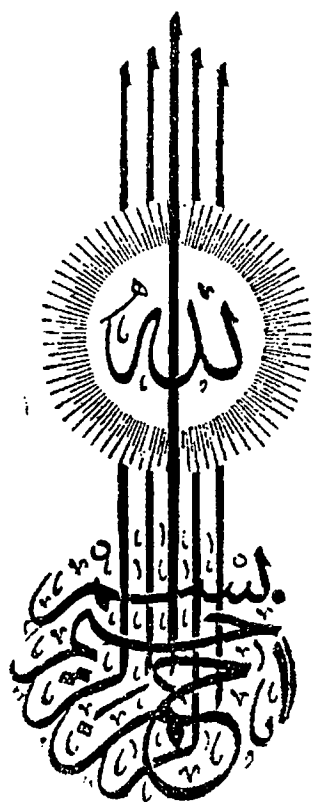
رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين

وجيواب القاضى الشيخ الوليد الساجى عليها

دراسة وتحقيق
الدكتور محمد عبد الله الشافعى

بقسم الفلسفة الإسلامية
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

دار الصحوة
النشر والتوزيع بالقاهرة



قال تعالى :

« قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا
مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ »

[آل عمران : ٦٤]

شكر وتقدير

يسرني أن أعرب عن شكري وتقديري للأخوين الفاضلين
الأستاذ الدكتور قاسم السامرائي ، والأستاذ الدكتور جعفر
شيخ إدريس .

وللمقائمين على مكتبة « الإسكوريال » بأسبانيا .
والله الموفق . .

محمد الشرفاوي

مقدمة

الحمد لله

والصلاة والسلام على رسل الله

وعلى خاتمهم محمد بن عبد الله

وعلى آله ، وصحبه ، ومن والاه

وبعد . .

فهاتان وثيقتان بالغتا الأهمية ، لأنهما تكشفان عن جانب من العلاقة الثقافية ، أو الجدلية الدينية أو الحضارية - سمها كيف شئت - بين المسلمين في الأندلس ، والنصرانية في أوروبا الغربية ، في القرن الخامس الهجري .

- الوثيقة الأولى ، أو الرسالة الأولى ، بعث بها راهب فرنسا - متطاولاً - إلى الأمير المسلم المقتدر بالله ، حاكم (سرقسطة) ، يدعوه فيها إلى الدخول في دين النصارى ، ويشرح له بعض أسسه وقواعده ومحاسنه .

- والوثيقة الثانية : هي نصّ الجواب الذى كلف الأمير القاضى أبا الوليد الباجى بكتابته رداً على رسالة الراهب الفرنسى ، بعد مقابلة مبعوثيه ومناقشتها .

والرسالتان معروفتان لدى الباحثين الغربيين معرفة جيدة ، فقد نشرتا - في الغرب وترجمتا إلى أكثر من لغة أوروبية ، ولكنهما - للأسف - على أهميتهما الكبيرة - لا يكاد يعرفهما إلا نفر يسير جداً من الباحثين المسلمين المتخصصين ، فضلاً عن سواهم

ولقد قدّم لي الأخ الأستاذ الدكتور قاسم السامرائي - مشكوراً - مصورةً لبحث نشره المستشرق دنلوب ، ولتعلق نشره المستشرق ألين كتلر ، ونشرة تركي كذلك ، ثم كتبت إلى مكتبة الإسكوريال بأسبانيا لتزودني بصورة من المخطوط الوحيد لهمايتين الرسالتين الوجيهتين ، فأرسل القائمون عليها لنا صورة ميكروفيلمية للمخطوط واستعنت بالله تعالى وقمت بإعداد هذه النشرة المنقحة التي راجع أصولها الأستاذ الدكتور جعفر شيخ إدريس وأسأله - تبارك وتعالى - أن يجعل عملي كله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ، إنه سميع مجيب .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .
٢٠ - ٤ - ١٤٠٤ هـ
دكتور محمد عبد الله الشرقاوي
الرياض في ٢٣ - ١ - ١٩٨٤ م

القسم الأول

بَيْنَ يَدَيِ الرَّسَّالَيْنِ

(١٠) التعريف بأبي الوليد الباجي *

هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التُّجَيْبِي المالكِي الأَنْدَلُسِي الباجِي .

والباجي نسبة إلى باجة (Beja) ، وهي مدينة بالأندلس ، وقد ولد يوم الثلاثاء الموافق ١٥ من ذى القعدة ، سنة ٤٠٣ هـ ، بمدينة بَطْلِيمُوس (Badioz) .

وتجمع المصادر التي ترجمت له على أنه من أبرز علماء الأندلس وحفاظها ، بل على أنه أحد أئمة المسلمين المعدودين .

* انظر ترجمته بالتفصيل في :

- وفيات الأعيان وأنباء الزمان : لأبي العباس أحمد بن خلِّكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ ، بتحقيق محيى الدين عبد الحميد ج ٢ ص ١٤٢ ، مكتبة النهضة المصرية .
- ، الديباج المذهب ، لابن فرحون ، ص ١٢٠ - ١٢٢ .
- ، تاريخ ابن الوردي ، ج ١ ص ٣٦١ .
- ، نفح الطيب للمقري ، ج ١ ص ٣٦١ .
- ، قلائد العقيان ، للحريري ، ص ١٨٨ .
- ، بروكلمان : GAL I, P 534 .
- ، الأعلام للزركلي ج ٣ ص ١٨٦ .

سكن شرقى الأندلس ، ثم رحل إلى المشرق ، سنة ست وعشرين وأربعمائة ، أول نحوها : طلباً للعلم ، فأقام بمكة المكرمة مع أبى ذرّ الهروى ، ثلاثة أعوام ، حجّ فيها أربع حجج ، ثم رحل إلى بغداد ، فأقام بها ثلاثة أعوام يدرس الفقه ، ويقرأ الحديث ، ولقى بها سادة من العلماء ، كتابى الطيب الطبرى الفقيه الشافعى ، والشيخ أبى إسحاق الشيرازى ، صاحب كتاب : المهذب

وأقام بالموصل مع أبى جعفر السّمّانى المتوفى سنة ٤٤٤هـ عاماً واحداً ، يدرس عليه الفقه ، وعرج على مصر وغيرها من حواضر العلم ، وقد استغرقت رحلته المشرقية نحو ثلاثة عشر عاماً .

وروى عن الحافظ أبى بكر الخطيب البغدادى ، وروى الخطيب عنه أيضاً ، وروى كذلك عنه ابن عبد البر صاحب الاستيعاب ، والتمهيد ، وغيرهما .

وصنّف كتباً كثيرة ، منها .

كتاب المنتقى ،

وكتاب إحكام الفصول فى أحكام الأصول ،

وكتاب التعديل والتجريح فيمن روى عنه البخارى فى
الصحيح ،

وكتاب الإشارة ،

وكتاب السراج فى علم الحجاج ،

وكتاب التسديد إلى معرفة التوحيد ، وغير ذلك .

وقد استدعاه المقتدر بالله إلى بلاطه فى سرقسطة ،
وهناك ظهرت تواليفه ، وسطح ترجمه^(١) .

وتوفى الباجى بالمريّة (Almeria) ، ليلة الخميس

الموافق ١٩ من رجب سنة ٤٧٤ هـ - ١٠٨١ م .

(١) انظر : الحريرى : فلائد المعيان ، ص ٢١٥ ، طبعة سنة ١٢٧٧ هـ ،
وعن المقتدر بالله انظر كتاب : الأندلس ، بقلم ج . س . كولان ، ترجمة
لجنة دائرة المعارف الإسلامية ، نشر دار الكتاب اللبنانى والمصرى ١٩٨٠ .
وانظر : دول الطوائف « محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٦٩ م ولعل راهب
فرنسا قد طمع فى استمالة المقتدر بالله ، نظراً لظروف الضعف والحصار الذى
كانت تعاني سرقسطة من وطأتها آنئذ ، ومعروف أن من بين أسباب معركة
الزلاقة التى وقعت سنة ٤٧٩ هـ ، بين ابن تاشفين وألفونسو : فك حصار
سرقسطة .

(٢) دعوة الباجي إلى الوحدة الأندلسية

عاش الباجي عصر الفرقة والتشتت والتشرذم في بلاد الأندلس - العصر الذي يطلق عليه عصر (ملوك الطوائف) - وعانى مرارة الضياع والانعكاس ، ورأى الدولة تنقص من أطرافها ، ويسارع حكامها إلى الالتجاء إلى العدو ، والاستعانة به ، والتقوى بمدده ضد إخوانهم . . . وارتفعت في - الأندلس لهذا الوقت - دعة لجمع الشمل ، كان على رأسها العلامة القاضي الفقيه أبو الوليد الباجي (٤٠٣ - ٤٧٤ هـ) (١) .

حمت هذه الدعوة ونمت ونضجت وآتت أكلها بعد سقوط طليطلة فكانت معركة (الزلاقة) الفاصلة .

ولقد أبلى الباجي في سبيل هذه الدعوة إلى وحدة البلاد الأندلسية بلاءً حسناً ، وكان ذلك بعد رحلته الشرقية ، يقول ابن بسّام صاحب كتاب « الذخيرة في محاسن أهل

(١) انظر : دول الطوائف ، محمد عبد الله عنان ، ص ١١١ ، القاهرة ١٩٦٩ م ، وانظر التاريخ الأندلسي للدكتور عبد الرحمن على الحجي ، ص ٣٣٦ وما بعدها القاهرة ١٩٨٣ م .

الجزيرة» عن هذه المهمة : إن الباجي بعد عودته من المشرق ،
« لأول قدومه رفع صوته بالاحتساب ، ومشى بين ملوك
أهل الجزيرة لصلة ما انبت من تلك الأسباب ، فقام مقام
آل فرعون لو صادف أممياً واعية ؛ بل نفخ في عظام
ناخرة ، وعطف على أطلال دائرة ، بيد أنه كلما وفد على
ملك منهم في ظاهر أمره لقيه بالترحيب ، وأجزل حظه في
التأنس والتقريب ، وهو في الباطن يستجمل نزعتيه ،
ويستثقل طلعتيه ، وما كان أفضن الفقيه - رحمه الله -
بأمرهم ، وأعلمه بتدبيرهم !! ، لكنه كان يرجو حالاً
تشوب ، ومذنباً يتوب . . . » (١) .

زار الباجي ممالك كثيرة للطوائف ، يقيم في كل منها
مدة ليست بالقصيرة ، داعياً توحيد البلاد ، وكلم الشعب ،
ورقق الخرق ، وزاد نشاطه اشتداد حال الأندلس سوءاً منذ
حادثة برُبشتَر (Barbastro) سنة ٤٥٦ هـ وقد

(١) ابن بسم ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ٧٧/٢ مخطوط
بالمتحف العراقي ، نقلا عن د. عبد الرحمن الحجى ، المصدر السابق ص ٣٣٩ .

أثارت هذه الحادثة غياري المسلمين ، ونبّهت المسلمين ،
ونبّهت الناس إلى مكان الخطر ، فحرّكتهم^(١) .

وقد استمرت دعوة الباجي عدة سنوات ، تجول خلالها
في مدن وقواعد أندلسية كثيرة ، في مختلف جهات الأندلس
دعا فيها العامة ، وطلاب العلم ، والحكام إلى توحيد الجهود
وبث روح الجهاد ، ومن البلاد التي زارها بطليوس والمرية ،
وسرقسطة .

ويعلق المؤرخ ابن حيّان - صاحب كتاب الذخيرة -
على أحداث الأندلس المؤسفة ويعلل أسبابها ويشخص أدواءها
بوعى صادق ونظر ثاقب وحسٍّ مرهف ومعاناة حقّة فيلوم
الحكام والرعية معاً فيقول إنهم : « أرّكستهم الزنوب ،
ووصمتهم العيوب ، فليسوا في سبيل الرشد بأتقياء ، ولا على
معاني الغنى بأقوياء . . . نشئ من الناس هامل ، يعاون
أنفسهم بالباطل . من أدل الدلائل على فرط جهلهم بشأنهم

(١) عن حادثة بريشت انظر : التاريخ الأندلسي ص ٣٥٩ وما بعدها ،
وللتفصيل انظر : الذخيرة لابن بسام ج ٣ ص ٩٦ ، دول الطوائف ،
ص ٢٧٤ ، تاريخ الأندلس ٦٩ ، البيان المغرب ، والروض المطار ،
ونفح الطيب للمقرئ التلمساني ج ٤ ص ٤٤٩ ، ٤٥٠ .

واغترارهم بزمانهم ، وبعادهم عن طاعة خالقهم ورفضهم وصية رسول الله نبيهم عليه السلام ، وهم عن النظر في عاقبة أمرهم وغفلتهم عن سد ثغرى ، حتى لظل عدوهم الساعى لإطفاء نورهم يتبجح عراض ديارهم ، ويستقرى بسائط بقاعهم ، يقطع كل يوم طرقاً منهم وسرامة ، ومن لدينا وحوالينا من أهل كلمتنا صموت عن ذكرهم ، لُهاث عن بثهم ، ما إن يسمع عندنا فى مسجد من مساجدنا ومحفل من محافلنا مذكر بهم أو داع لهم ، فضلاً عن نافر إليهم أو مواسٍ لهم ، حتى كأن ليسوا منا ، وكأنّ فتقهم ليس بمغض إلينا ، قد بخلنا عليهم بالدعاء ، بخلنا بالغناء عجائب مغربة فاتت التقرير ، وعرضت للتغيير ، والله عاقبة الأمور وإليه المصير (١) .

ويحمل ابن حيان أمراء السوء والفرقة وزر سوء الحال كما يلوم الناس الذين يبلغ بهم الأمر إلى « الاغترار بالأمل والاستفاد إلى أمراء الفرقة الهمل ، الذين هم منهم ما بين فشل ووكل ، يصمدونهم عن سواء السبيل ، ويلبسون عليهم وضوح الدليل (٢) .

(١) الذخيرة ١٠١/٣ (مخطوط) .

(٢) السابق ٩٦/٣ .

(٣) ابن تيمية وأبو الوليد الباجي

يجمع ابن تيمية - رحمه الله - في كلامه بين القاضي أبي الوليد الباجي ، وأبي بكر الطرطوشي ، وأبي بكر بن العربي ، من أصحاب الإمام مالك - رضي الله تعالى عنه - ثم يسوق كلاماً موضوعياً ، يدافع فيه عن الباجي وأمثاله ضد من حاول التشغيب أو التشنيع عليهم حيفاً وزيفاً فيقول عنهم :

«... ولهم في الإسلام مساع مشكورة ، وحسنات مبرورة ولهم في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع ، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ، مالا يخفى على من عرف أحوالهم ، وتكلم فيهم بعلمٍ وصدقٍ وعدلٍ وإنصافٍ» (١) .

ويذكر ابن تيمية أن أبا جعفر السَّمْنَانِي كان شيخاً لأبني الوليد الباجي (٢) ، كما ينص على أن الباجي أخذ

(١) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ج ١ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ ، ج ٢ ص ١٠١ - ١٠٢ ، بتحقيق الأستاذ / الدكتور محمد رشاد سالم ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(٢) السابق ، ج ٥ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

مذهب الباقلاني عن أبي ذر الهروي في الحرم ، ورحل إلى العراق فأخذ طريقة الباقلاني عن السمناني الحنفي قاضي الموصل ، وصاحب ابن الباقلاني (١) .

ولقد حمل بعض الناس على الباقلاني والأشعري وأصحابهما ، حملة غير موضوعية ، تطرح كل اجتهاداتهم : دون نظر وتمحيص ، من شأنه أن يقبل الصواب ويرد الخطأ ، ويرى أن كل مجتهد مأجور وإن فاته الصواب .

ويهمني أن أقول هنا ، إن شيخ الإسلام أحمد بن عبد السلام بن تيمية لا يرى هذا الرأي فيهم ، ولا يندفع مع المندفعين : لكنه - رحمه الله - يدافع دفاعاً متيناً صلباً عن الحق والصواب عندهؤلاء ، ويعمل جاهداً على إظهاره كما أنه ينبه على بعض المواطن التي اجتهدوا فيها ، ولم يوفقوا إلى الصواب ، وهو يرى : أن الباقلاني والأشعري والقلانسي أقرب إلى السنة ، وأتبع لأحمد بن حنبل ، وأن الباقلاني - شيخ أبي الوليد الباجي - كان يكتب أحياناً : (محمد بن الطيب الباقلاني الحنبلي) .

وأن الأشعرى أقرب إلى مذهب أحمد وأمثاله من أئمة
السنة ، من كثير من المتأخرين المنتسبين إلى أحمد ، الذين
مالوا إلى بعض كلام المعتزلة ، كابن عَقيق ، وصدقة بن
الحسين ، وابن الجوزى وأمثالهم ^(١) ، يرحمهم الله جميعاً .
وكان الباجي - في رأى أحمد بن تيمية - كأبى بكر
ابن العربى ، يسلك - أحياناً - مسلك الاجتهاد - فى العقليات
فيغلط فيها ، كما غلط غيرهما ^(٢) .

(١) السابق ج ١ ص ٢٧٠ .

(٢) السابق ج ٧ ص ٣٤ .

(٤) الباجي وابن حزم الأندلسي

أقول - بادئ ذي بدء - إن ابن حزم ، كان يجُلُّ الباجي ويقدره ، قال المقرئ^(١) ، نقلاً عن ابن بسّام^(٢) :

وبلغني عن ابن حزم أنه كان يقول :

ولو لم يكن لأصحاب المذهب المالكي ، بعد غياب عبد الوهاب ، إلا مثل أبي الوليد الباجي ، لكفاهم^(٣) .

ويقول ابن خلكان : إنه كانت بين الباجي وابن حزم المعروف بالظاهري مجالس ومناظرات وفصول يطول شرحها^(٤) .

ويقول المقرئ في الحديث عن الباجي :

ولما ناظر ابن حزم ، قال له الباجي :

(١) أحمد بن محمد المقرئ التلمساني .

(٢) صاحب كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة .

(٣) المقرئ : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج ٢ ص ٦٨ /

٦٩ ، بتحقيق د. إحسان عباس طبعة دار بيروت صادر ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ .

(٤) وفيات الأعيان ، ج ٢ ص ١٤١ / ١٤٢ ، بتحقيق الشيخ محي الدين

عبد الحميد .

أنا أعظم منك همة في طلب العلم ؛ لأنك طلبته وأنت
معان عليه ، تسهر بمشكاة الذهب ! ، وطلبته وأنا أسهر
بقنديل بابت السوق !! .

قال ابن حزم :

هذا الكلام عليك لا لك ! ؛ لأنك إنما طلبت العلم
وأنت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالى ، وأنا طلبته
في حين ما تعلمه وما ذكرته ، فلم أرج به إلا علو القدر
العلمي في الدنيا والآخرة ، فأفحمه (١) .

هذا ، ويذكر صاحب (قلائد العقيان) : أن الباجي
ناظر ابن حزم فغلَّ غربه ، وكان سبباً في إحراق كتبه (٢) .

ومهما يكن من أمر ، فإن بعض الباحثين يرى أن هذه
المناظرات بين الرجلين ، قد أساءت إليهما معاً (٣) .

وإننى لم أطلع على نص مجالسهما ومناظراتهما ؛ لأنه -
حسب علمي - لم ينشر ، ولا أعرف مكان مخطوطه (٤) .

(١) نفح الطيب ج ٢ ص ٧٧ ، وقارن : آثار الأزهار ، طبعة
بيروت ١٢٩٤ هـ ص ١٨٨ / ١٨٩ .

(٢) الحريري : قلائد العقيان ، ص ١٨٨ ، طبعة ١٢٧٧ هـ .

(٣) د. حسين مؤنس : شيوخ العصر في الأندلس ، ص ٧٨ ، القاهرة .

(٤) ذكر أبو تراب الظاهري في صحيفة البلاد السعودية ، في ١٨ / ٦ / ١٣٨٧ هـ

أنه قد اطلع على نسخة خطية لمناظرات ابن حزم والباجي في الهند =

وعلى كل حال فإن ابن حزم قد هاجم الباقلانى ، شيخ
أبى الوليد الباجى هجوماً شديداً ، ولما قدم الباجى إلى
الأندلس - من رحلته المشرقية - وجد لكلام ابن حزم
طلاوة ، إلا أنه كان خارجاً عن المذهب (المالكى أو الكلامى)
ولم يكن بالأندلس من يشغل بعلمه ، فقصرت السنة
الفقهاء عن مجادلته و كلامه ، واتبعه على رأيه جماعة ...
وحل بجزيرة (ميورقة) ، فرأس فيها واتبعه أهلها ، فلما
قدم أبو الوليد . كلموه فى ذلك ، فدخل عليه ، وناظره (١) .
ومهما يكن من أمر هذه المجالس والمناظرات ، فإننا
لا ننسى أنه كان لهما - فى الإسلام - مساع مشكورة وحسنات
مبرورة ، ولهما فى الرد على كثير من أهل الإلحاد والضلال ،
مالا يخفى على المتصف المدقق ... وإن جدل ابن حزم لليهود
والنصارى غير منكور ، ولقد أفاد منه من جاء بعده فائدة
عظيمة ، وكذلك الباجى - فإن رسالته التى بين أيدينا -
نموذج رفيع فى الدعوة إلى الله تعالى بين غير المسلمين ،
رحم الله الرجلين ، وغفر لهما .

== أنظر كتاب ابن حزم خلال ألف عام ، لأبى عبد الرحمن الظاهرى ، ج ٢
ص ٢٦٢ ، بيروت ، دار الغرب الإسلامى .
(١) نفح الطيب ج ٢ ص ٦٧ - ٦٨ .

(٥) سرقسطة والمقتدر بالله

مملكة سَرْقُسْطَة من أعظم ممالك الطوائف من حيث سعة رقعتها وموقعها بين دول أسبانيا النصرانية في الشمال ، وعرفت بولاية الثغر الأعلى ، وعاصمتها مدينة سَرْقُسْطَة .

حكمت بقية أسرة بنى تجيب هذه المملكة لدى أول وقوع الفتنة المؤدية إلى قيام الطوائف ، ثم انتقل الأمر إلى أسرة بنى هود ، وأولهم أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود الجذامي الملقب بالمستعين بالله (٤٣١ - ٤٣٨ هـ : ١٠٣١ - ١٠٤٦ م) .

قسم المستعين مملكة سَرْقُسْطَة - قبل وفاته - بين أبنائه الخمسة ، وسبب هذا التصرف السيئ قيام صراع بين بعض الإخوة ، وكان أشدهم طموحاً أبو جعفر أحمد الملقب بالمقتدر بالله الذي استطاع بوسائله الغاشمة أن يحقق الكثير مما أراد .

وقعت أيام المقتدر بالله هذا مأساة مدينة بَرَبَشْتُر سنة ٤٥٦ هـ وتوفي المقتدر سنة (٤٧٤ هـ : ١٠٨١ م) بعد أن

حكم خمساً وثلاثين سنة ، وقسم المملكة بين ولديه : أبى عامر يوسف الملقب المؤتمن وأخيه المنذر ، وجرت بين الأخوين وقائع وحروب ، استعان كلاهما بملوك أسبانيا النصرانية !! . وكانت سرقسطة آخر مملكة من ملوك الطوائف تدخل فى طاعة المرابطين سنة ٥٠٣ هـ . لكن سرعان ماسقطت بيد ملك الروم ابن رُدْمِير ملك أرغون سنة ٥١٢ هـ .

ولولا دعوة العلماء الأفاضل إلى توحيد الأندلس ونجدة المرابطين لإخوانهم ، والعمل على استشارة الروح الإسلامية والولاء للإسلام ، لضاعت الأندلس قبل ضياعها بقرون^(١) .

(١) انظر : التاريخ الأندلسى للدكتور / عبد الرحمن الحجى ، فى مواضع متفرقة .

(٦) قيمة الرسالتين

إننى لَأَتَّفَقُ مع (د. م. دنلوب) على أن الرسالتين وثيقتان مهمتان ، تكشفان جانباً من الجدل الدينى المتبادل بين المسلمين والنصارى فى الأندلس ، من جهة ، وتظهران الاحتكاك الثقافى بين الإسلام والغرب من جهة أخرى^(١) .

بيد أن رسالة الباجى تُظهر - فى تقديرى - رؤيةً إسلاميةً صحيحةً وعميقةً ، لما عليه العقيدة النصرانية من اضطراب وتناقض ووهاء ، كما أنها تبرز مسؤولية القاضى الباجى فى الدعوة إلى الله تعالى بين غير المسلمين ، ووعيه بالطريق الأرشد إلى ذلك فالقضية - عنده - لم تكن مجرد تدبيج جواب على رسالة راهب فرنسى بعث بها - مع رسولين - إلى المقتدر بالله حاكم سرقسطة ، أقصى ما يؤمله الباجى من ورائه ، أن يرضى المقتدر بالله عنه ؛ لكن طموحه السديد كان

D. M. Dunlop: A Christian Mission To Muslim (١)

Spain in the 11 th Centruy, ALANDALUS, XVII, 1952, pp.

259-310.

أبعد من ذلك وأعظم ؛ إذ كان يروم تعريف راهب فرنسا
وكبير رجالات الكنيسة فيها بمحاسن الإسلام ، وما عليه
النصرانية - بعد التحريف - من مجافاة للعقل والمنطق ،
فضلاً عن مصادمتها للفيطرة السليمة ، بأسلوب قويم حكيم .
وإن كل فقرة في الرسالة لتؤكد هذا المعنى وتعمقه .

(٧) تكرار هذه الرسائل بين الراهب والمقتدر بالله

تكشف رسالة الباجي أن هذه المراسلات قد تكررت بين راهب فرنسا والمقتدر بالله ، يقول الباجي ، مثلاً :
« . . . وقد كان ورد علينا - قبل هذا - كتابك ،
واقترن به من دعوى حامله المحال . . . إلى آخره » .

ويقول :

« . . . ولما تكررت علينا رسائلك ووسائلك ، تعينت
تعينت علينا مفاوضاتك » .

ويقول :

«... وقد ورد متحملاً كتابك ، فما أورد إلا كلام البشر..» .

ويثور هنا سؤال وجيه هو :

من الذى بدأ سلسلة المراسلات هذه ؟ المقتدر بالله أو
الراهب ؟ .

أقول : يبدو أن راهب فرنسا هو الذى بادر بهذه المراسلة ،
لأنه ذكر فى كتابه : « . . . لما انتهى إلينا - أيها الأمير
العزیز ! - أمرك الرفيع فى الدنيا ، وبصيرتك فى تبين
أحوالها المتغيرة ، رأينا أن نراسلك وندعوك ، لتؤثر الملك
الدائم على الملك الزائل الفانى » .

(٨) الرسائلان في دراسات المستشرقين

لقيت هاتان الرسائلان عناية خاصة من قبل المستشرقين المهتمين بالقضايا الأندلسية بوجه خاص ، ومن المهتمين برصد العلاقات بين الإسلام والغرب بوجه عام ، ويكفي أن يذكر - في هذا الصدد - أن هاتين الرسالتين قد درستتا وترجمتا إلى أكثر من لغة أوربية ، وعلق عليهما - في الغرب أكثر من مستشرق وباحث .

فقد ترجمها إلى الإنجليزية المستشرق (د. م. دنلوب)، ونشر دراسة وجيزة حولهما خمس صحائف في مجلة الأندلس المتخصصة^(١)

ركز دنلوب في دراسته على الاحتكاك الثقافي بين أوروبا الغربية والمسلمين ، وأن هذه المراسلات نماذج أو وثائق تعبر عنها ، وهي تذكر بالرسائل المشابهة لها بين الكندي وعلى الطبري^(٢) مثلاً . كما تطرق بالحديث إلى (سرقسطة)

(١) ALANDALUS, Vol XVII, 259-263, 1952.

(٢) انظر كتاب القرطبي : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ومحاسن الإسلام وإثبات نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، نشرة د. أحمد السقا ، دار التراث بمصر ، طبعة أولى ، (مقدمة المؤلف) ، = م ٣ - رسالة راهب

وذكر أنها كانت عاصمة الثغر الأعلى (Upper Frantier) إبان عهد الخلافة في قرطبة ، وأصبحت - بعد استيلاء النصارى عليها - عاصمة إقليم الأرجون (Argon) ، واعترف بأنه لا يعرف الكثير عن سرقسطة تحت حكم بني هود الذين ينتمى إليهم المقدر بالله ، الذي حكم سرقسطة من سنة ٤٣٨ هـ - ٤٧٤ هـ ، ١٠٤٦ م - ١٠٨١ م . ثم نصّ على أن الراهب الفرنسى ، صاحب الرسالة هو : القديس « هيو » (St. Hugh) « كبير رهبان دير (Cluny) » وكان قد توسّد سدة هذا الدير مابين عامى ١٠٤٩ م و ١١٠٩ م .

كما حاول دنلوب أن يتعرف على ما إذا كانت رسالة الراهب قد كتبت بالعربية أصلاً ، ومن هو كاتب هذه الرسالة الذى يجيد العربية بهذا المستوى الرفيع ؟ أو أنها كتبت باللاتينية ، ثم ترجمت إلى العربية ؟ !
وبذل جهداً فى توثيق نسبة الرسالتين بمنهج نقد النصوص باطنياً وظاهراً ، أو متناً وسنداً .

= وانظر كذلك كتاب مقامات الصليبان ومراتع روضات الإيمان لأبى عبيدة الخزرجى مخطوط رقم ٤٥٤ : جامعة الإمام محمد بن سعود ، وقد نشره الدكتور محمد شامة بعنوان : بين الإسلام والمسيحية ، مكتبة وهبة بمصر ، طبعة أولى ، (مقدمة المحقق) .

وبعد إحدى عشرة سنة ، كتب المستشرق « ألن كاتلر
ALLEN CUTLER دراسة نقدية بعنوان :

(Who was The Monk of France AND When Did He
Write ?

A Note on Dunlop's A Christian Mission To Muslim
Spain in The 11. th Century).

من هو راهب فرنسا ؟ ومتى كتب رسالته ؟ . تعليق
على مقال دنلوب المذكور ، ولم يأت في دراسته هذه بتجديد
يستحق الإشارة إليه من جانبنا أكثر من مناقشة بعض آراء
دنلوب وتفنيدها ، وقد اهتم بشكل خاص بأما كن وشخص
الاحتكاك الثقافي بين الإسلام والنصرانية في غرب أوروبا ،
ليحقق من وراء ذلك : من هو الراهب ؟ ومتى كتب هذه
الرسالة إلى المقتدر بالله^(١)

كما أن (سالو بارون) - في الجزء الخامس من عمله
التذكاري عن التاريخ الاجتماعي والديني لليهود قد أشار إلى
هاتين الرسالتين واسترعى النظر إلى قيمتهما^(٢) .

ALANDALUS, Vol XXVIII, 1963, PP. 249-269. (١).

SALO BARON. The Social and Religious History (٢)

of the Jews, 2, ed, Philadelphia, 1957, P.337 (ALANDALUS).

بقى أن نذكر أن نشرة دنلوب وترجمته لهاتين الرسالتين كانتا عن نسخة خطية فريدة ، تحتفظ بها مكتبة الإسكوريال بأسبانيا تحت رقم (٥٣٨ مجموع عربى) ، وأن هذه النشرة تتسم - مع تقديرنا للرجل - بضعف إدراكه للمعنى ، ويتمثل هذا الخطأ البين في قراءته لبعض العبارات والكلمات ، وانسحب هذا - ضرورة - على ترجمته ، كما أن دراسته للرسالتين - فيما عدا توثيق النص - تعتبر تاريخية شكلية ، ولنا عليها بعض الملاحظات ، ولا نرى أن في هذه المقدمة الوجيزة مكانا مناسباً لبسطها ومناقشتها ، كما أن « ألن كلر » قد تعرض لبعضها ، في بحث خاص .

ثم نشر الرسالتين بعد ذلك بمجلة الأندلس (A. Turki) بعنوان (LA LETTRE DU MOINE DE FRANCE) ، واعتمد في نشرته العربية على مخطوط الإسكوريال المشار إليه سابقاً ، وعارضه على نشرة (دنلوب) ، وقد اتهد في قراءة النص العربى قراءة صحيحة ، وصوب بعض أخطاء دنلوب ، لكنه لم يوفق في كثير من المواضع وقد أشرنا إليها في الحواشى التى قيدناها في نشرتنا هذه .

أما في نشرتنا هذه فقد قابلنا بين المخطوط رقم (٥٣٨) مجموع عربي - مكتبة الإسكوريال) ونشرة كلي من دنلوب وتركي السابقين ، ولم نشأ أن نثبت من الفروق بين هذه النسخ الثلاث ، إلا ما رأينا أن في تقييده فائدة للقارى ورمزنا إلى المخطوط بـ (ا) ، وإلى نشرة دنلوب بـ (د) ولنشرة تركي بـ (ت) .

(٩) نبذة عن محتوى الرسالتين

(أ) رسالة الراهب :

من بين ما احتوت عليه :

أنه الذي يادر بكتابة هذه الرسائل ، وكان هدفه منها شرح أسس العقيدة النصرانية للأمير المسلم حاكم سرقسطة ، ودعوته للارتداد عن دينه والدخول في دين الراهب النصراني.

— ومن مبادئ هذه العقيدة — كما ذكر في رسالته — :

* أنه لا ينبغي الإيمان بسوى المسيح عليه السلام .

* وأن المسيح إله يهدى ويضل ، ويعطى ويمنع ، ويضر

وينفع .

* وأنه — عليه السلام — قد انقذهم بدمه الطاهر من

هلكة إبليس اللعين .

* وأنهم ينكرون نبوة محمد — صلى الله عليه وسلم —

ويزعمون أن نبوته — صلى الله عليه وسلم — إن هي إلا تلبيس

لإبليس اللعين على بنى إسماعيل ، ليكفروا بالمسيح عليه

السلام ، وأنها — لذلك — خطأ جسيم على الإنسان ، وهلاك له ،

وشقاء .. .

- ويذكر فيها أن مُلكَ الله ، وكنهه النصرانية ، لا يحيط بهما إنسان ؛ لأنهما أعظم من أن يدر كهما إنسان بعقله القاصر ، وأجل من أن يصل إليهما بعلم الكلام .
ويختتم رسالته بدعوة الأمير بالدخول في دينه ، مع إغراء رخيص له .

(ب) رسالة القاضي الباجي :
من بين ما احتوت عليه :
- أنها قد أظهرت اهتمامه بآمر الراهب ، لما له من مكانة وصدارة في قومه ، رجاء أن يهديه الله تعالى ، ويهدي به من قبله .

- ثم إعراضه عن مناقشة المستحيلات التي قررها رسل الراهب عنده ، لما يعلمه عن غفلة النصارى ، وعدم عنايتهم وتدقيقهم ، ولأنه آثر الرفق به رجاء رجوعه وأوبته للحق .
- وأشار إلى أصل من أصول الدعوة عظيم ؛ وهو متى يكون الإغلاظ على المدعو ؟ ومتى يكون الرفق به ؟ وكيف يكون ذلك ؟
- وألح إلى تكرار هذه الرسائل ، بين الراهب والمقتدر بالله .

- كما أظهر أن الحديث بينه وبين رسل الراهب قد
نقل عن طريق مترجم .
- وأشار إلى علم المسلمين الراسخ بالتصرانية واطلاعهم
على كتبها - مترجمة إلى العربية - ووقوفهم على ما فيها
من اضطراب وتكاذب وتصادم .

- ثم شرح للراهب البواعث النفسية التي تدفعه إلى
التمسك بهذه الأباطيل التي لا تثبت ولا تنصر .

- وفند - بإيجاز - دعوى النصارى إلهية عيسى -
عليه السلام - من وجوه :

* منها أنه قد اتصف بصفات الحوادث .

* ومنها أنه إن كان قد ولد من غير أب ، فإن آدم عليه
السلام ، قد ولد من غير أب ولا أم ، ولا حمل به في بطن .

* ومنها أن المعجزات التي أظهرها الله تعالى على يد عيسى
عليه السلام ، قد أظهر مثلها وأفضل منها وأبقى ، على يد
غيره من رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

- ثم يبرز تناقضهم في دعواهم أن عيسى ابن الله تعالى ،
وأنه ولد لداود عليه السلام ، في نفس الوقت .

- ويعرض عليه محاسن الإسلام : عقيدة وعبادةً ونظاماً وأخلاقاً ، ويدعوه للحضور بنفسه ، ليعرف المزيد منها ، وليسمع آيات القرآن العظيم ؛ لعلَّ الله أن يفتح عليه .

ثم يدعوه للإسلام ، ويدعو الله تعالى أن يشرح صدره ويهديه ، ويهدي به من قبله ، فيفوز بأجورهم ، ويكون سبباً إلى استنقاذهم ؛ لأنه مطاع فيهم ، ثم يختم جوابه بقول الله تعالى :

« والسالم على من اتبع الهدى » .

القسم الثاني

رِسَالَةُ رَاهِبٍ فَرَنْسَا
إِلَى الْخَصْرِ بِاللَّيْلِ، أَمِيرِ كَرْفُسْتَدَ

يدعوه إلى الدخول في دين النصارى ويشرح له أصول

الحقيدة النصرانية

بِحُكْمِ الدَّارِ وَحُجَّةِ الْبَيْتِ أَمَّا تَشْتَرُ بِرَيْفِكَ وَتَقْصُرُ بِرَحِيْفِكَ
وَلَا تَبْذُرُ لِمَصْرُورٍ أَنْ تَنْبُتَ وَلِالْمُهْمُورِ أَنْ تَفْرُثَ

وَلَا تَبْذُرُ لِلْعَاءِ فِي مِرْجَلِكَ عَلَى الدَّارِ مَوْفِقُهُ أَنْ يَقْبُولَا

كَمَلِ التَّغْيِيرِ وَالْحَسْرَةِ شَيْبَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَسَلَامٌ أَتَوَاعِبُ مِنْ أَقْبَرِ نَفْسِهِ لَمْ يَمُرْ مِنَ اللَّهِ إِلَى الْمُقْتَدِرِ وَاللَّهُ
صَاحِبُ سِرِّ مَقْصُودِهِ

إِلَى الْمُتَدِينِ الْحَبِيبِ الرَّبِّ تَوَلَّاهُ أَنْ يَكُونَ خَلِيلًا لَنَا إِنَّا اخْتَرْنَا بِاللَّهِ عِلْمَ دَوْلَةِ حَقٍّ نَزَّ
أَمْلًا الْعَرَبِ مِنْ الرَّاكِبِ أَحْقَارِ الرُّمَالِ أَلِ التَّوَاعِبِ مِنْ رَاكِبَاتِهِ وَحُلَايَا مَا فَسَحَ الشَّيْخُ
ابْنُ اللَّهِ سَيِّدَنَا ظَلَمَ أَنْتَهَى إِلَيْنَا إِلَهًا الْأَمِيرَ الْعَزِيزَ أَمْرًا الْوَجْهَ فِي الدُّنْيَا بِحَبِيرَتِهِ
وَبِتَبْيِيزِ أَحْوَالِهَا الْمُتَغَيِّرَةِ رَأَيْنَا أَنْ نَرَاكِ وَأَنْ نَرْغُوكَ لِنُورَ الْمَلِكِ الرَّاهِمِ عَلَى
الْمَلِكِ الزَّاهِلِ الْبَاطِنِ وَأَنْتَ فَرَايْتَ كِتَابَنَا إِلَيْكَ الرَّبِّ وَأَدْعَتْ خَلِيلَهُ مَرَّاجَعَةً
تَبْسِيطَةً عَلَى حَسَبِ نَصْرِ أَمَلِ الرُّمَى وَلَمْ تَكُنْ تَحْسَبُ مَصْلُوحًا مِنَ الْمَرَاخِضِ الرَّجَائِزِ
وَلَوْلَا فَرَاخِي نَتَانِي لَمْ يَلِدْكَ إِنْ تَوَقَّعْتَ أَنْ تَكُنْ أَعْدَاؤُنَا يَجْتَنِبُ بَعْدَهُ وَحَقًّا
أَنْ الْقَائِمَ عَلَى الْكُلِّ الرَّبِّ أَوْ لَيْسَ أَوْ لَيْسَ قَبْلَ خُلُوعِ الْعَالَمِ رَمَّ يَصْنَعُ بِعَاسِمِهِ
مَلَاكُكُمْ فَرَاخًا رَقِيبًا وَابْتَدَعُوا لِلدِّيمَانِ بِإِلَهِهِ السَّلَامِ لَكَ وَمَعَا جَمْعِ الرَّحِيمِ
إِلَى عِبْرَةِ الرِّبِّ مَعْرِفَتِهِ وَلَيْسَ يَنْفَعُنَا أَنْ تَسْرَافِي عَيْنُ رَحْمَةٍ أَوْ بِتَقْصِيرِ صَفْوِ
الْمُحْكَمَةِ بِمِثْلِ مَعْرِفَتِهِ تَنْشُرَتْ فَعْدَةً مَكُونَةً إِنْ أَشْرَكَ لَمْ يَزِدْ لَدُنْكَ مَرُورُ
أَشْغَعْنَا إِلَيْكَ مِنْ إِخْوَانِنَا مَنْ يُؤَدِّمُ عَلَيْكَ لَدُنَّا أَلَا نَدْعِيهِ عَلَى مَا تَوْفِيقُهُمُ لِلَّهِ أَلَيْتَ
وَبِمَنْ حَوَالَيْكَ حَقِيقَةً دِيمَانِ الْفَضْلِ وَنُفُورًا وَاعْتَمَرَتْ بِمَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ سَيِّدِنَا
لَيْسَ يَنْفَعُنَا لَدُنْكَ إِيْمَانُ بِأَيِّ سَوَاءٍ وَبَلَدٌ نَحْمَدُكَ بِأَيِّ سَوَاءٍ لَدُنْكَ أَلَا نَحْمَدُكَ

[illegible]

1st. Complete autonomy, letting it respond
of itself, second, to answer, with a
range of response, in concrete
social work.

رسالة الراهب

من إفرتسة إلى المقتدر بالله في صاحب مرقسطة

إلى الصديق الحبيب الذي نؤمِّله أن يكون خليلاً مدانياً ،
المقتدر بالله على دولة هذه الدنيا ، الملك الشريف ، من الراهب
أحقّر الرهبان ، الراغب في الإنابة والإيمان بالمسيح يسوع (١) ،
ابن الله سيّدنا !!! .

لما انتهى إلينا - أيها الأمير العزيز ! - أمرُك الرفيع في
الدنيا وبصيرتُك في تبين (٢) أحوالها المتغيرة ، رأينا أن
نراسلك (٣) وندعوك لتؤثّر الملْك الدائم على الملك الزائل الفاني .
وإنّك قد رأيت كتابنا إليك الذي راجعت عليه مراجعةً
نبيلةً ، على حسب نظر أهل الدنيا ، ولم تكن بحسب مطلوبينا

* يقصد : فرنسا ، وكانت تكتب وتنتطق هكذا ، ووجدت جملة
دعائية (دمرها الله) بعد كلمة إفرتسا ، وأغلب الظن أنها تزيد من الناسخ .

(١) في : ا ، د : أيشوع .

(٢) في : ا ، د ، ت : تبين ، ولعل ما أثبتناه هو الأنسب .

(٣) يفهم من هذا أن المراسلة قد كانت - ابتداء - مبادرة من الراهب
الفرنسي ، ثم تكررت بعد ذلك ، ويبدو أن أجوبة المقتدر بالله لم تكن مشجعة
للراهب .

من المراجعة الروحانية ، ولذلك تراخى زمانى بمراجعتك إذ توقّعنا أن نتكلّف تعباً لا نجتنى به ثمرة .

وَحَقّاً إِنَّ الْقَادِرَ عَلَى الْكُلِّ ، الَّذِي اصْطَفَى أَوْلِيَاءَهُ قَبْلَ خَلْقِ الْعَالَمِ ، وَلَمْ يَسْبِقْ - فِي عِلْمِهِ - هَلَاكُهُمْ ، قَدْ أَنَارَ قَلْبَكَ وَأَشْعَرَهُ لِلْإِيمَانِ بِالْإِلَهِ (١) [الْمُسْلِمُ لَكَ] (٢) ، وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ الَّذِي يَهْدِيكَ لِمَعْرِفَتِهِ .

وَلَنْ يَسَعُنَا أَنْ نَتْرَاخِيَ عَنِ الْجَهْدِ فِي تَتِمِيمِ هَذِهِ الْمَصْلُحَةِ - بِجَمِيلِ مَعُونَتِهِ - لَتَشْتَرِكَ مَعَنَا فِي مَلِكُوتِهِ إِنْ آثَرْتَ ذَلِكَ ! وَلِهَذَا الْأَمْرُ ، أَشْخَصْنَا إِلَيْكَ مِنْ إِخْوَانِنَا مَنْ يُوْرِدُ عَلَيْكَ كَلَاماً إِلَهِيّاً - عَلَى مَا يُوقِّعُهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِ - وَيُشْرَحُونَ لَدَيْكَ حَقِيقَةَ دِينِ النَّصَارَى (٣) وَيَقْرَرُونَ عِنْدَكَ مَعْرِفَةَ الْمَسِيحِ سَيِّدِنَا الَّذِي لَا يَنْبَغِي لَنَا الْإِيمَانُ بِأَحَدٍ سِوَاهُ وَلَا نَرْتَجِي النَّجَاةَ إِلَّا بِهِ ! فَهُوَ الْإِلَهِ الَّذِي اتَّخَذَ حِجَاباً عَلَى صُورَتِنَا لِيُنْقِذَنَا - بِدَمِهِ الطَّاهِرِ - مِنْ هَلَاكَةِ إِبْلِيسَ (٤) .

(١) في : ا ، د ، ت : يكتب هكذا (الإله) في كل المواضع .

(٢) هكذا بالأصل ولم استطع فهمها .

(٣) يفهم من هذا أن هدف الرسالة دعوة المقتدر بالله للدخول في دين النصارى بعد أن يشرح له الوجد حقيقة ، وحقيقه رأيهم في المسيح عليه السلام .

(٤) تأمل دياتهم : « المسيح إله أنقذهم بدمه الطاهر من هلكة إبليس » .

ولقد كنّا - أيها الملك الشريف ! نُورد^(١) كثيراً من هذا القول ، لولا ما نتوقعه من تألّمك بسَماعه^(٢) ! ، وفي ذلك كله برهان الملة المسيحية وبيان جلالتها .

(١) يبدو أن في الكلام سقطاً ، يفهم من السياق : « نحب أن نُورد . . . »
 (٢) لقد صدق الراهب ، فإن الإحاطة بكنه الديانة النصرانية مستحيل على العقل الإنساني لغموضه ، وشده تعقده ، واضطرابه وتناقضه ، ولقد صور الجاحظ هذا الواقع بصورة تستوقف القارئ ، يقول في كتابه : « المختار في الرد على النصارى » ص ٩٥ بتحقيقنا ونشر دار الصحوة بالقاهرة ١٤٠٥ هـ .
 « ولو جهدت بكل جهدك » ، وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم في المسيح ، حتى تعرف به حد النصرانية ، وخاصة قولهم في الإلهية ! ! . . . وكيف تقدر على ذلك وأنت لو خلوت ونصرانياً نسطورياً فسألته عن قولهم في المسيح لقال قولا ، ثم إن خلوت بأخيه لأمه وأبيه وهو نسطورى مثله ، فسألته عن قولهم في المسيح لأتاك بخلاف قول أخيه وضده ، وكذلك بجميع الملكانية واليعقوبية ، ولذلك صرنا لا نعرف حقيقة النصرانية كما نعرف جميع الأديان » .

ولقد أشار القاضي عبد الجبار ، وابن حزم ، وأبو حامد الغزالي ، والمهتدى نصر بن يحيى المتطلب ، والقراقى ، وابن تيمية وغيرهم إلى هذه الحقيقة .

وللتعرف على أقوالهم في المسيح عليه السلام انظر : لبطريك الإسكندرية أفثيوس سميد بن البطريق كتابه : « التاريخ المجمع » . وكذلك انظر مجموعة الرسائل التي نشرها الأب بولس سباط بعنوان « مباحث دينية فلسفية للتدما من علماء النصرانية » ، وانظر ما كتبه المهتدى عبد الله الترحمان (القس الكاثوليكي الميورقي الأندلسي أنسلمو تورميذا) في كتابه : « تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب » بتحقيق صديقنا الدكتور محمود حامية ، ، نشرة دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٤ م .

وإن الإحاطة بكنهها ممّا يعجز دونه إدراك الإنسان^(١) ومُلكُ الله - تعالى ! - أجلُّ وأعظمُ من أن يُدرّكه فهم الإنسان ، أو يصل إليه بعلم الكلام . . . إلا أن من آيات الله القادر على كل شيء ، أن يشرح صدور آدميين ويدخل روح العلم في قلوبهم^(٢) ، ليتمكن الإيمان في نفوسهم .

ولما كانت الدنيا - من قبل - معمورةً بالضلال ، والعالم مدنساً بعبادة الأوثان ، حُسِّن عند الله القادر - في آخر العهد - أن يعيد الزمان جديداً ، ويستدرك الصلاح الذي فات العالم في آدم الوالد الأول ؛ وذلك أمر قد اهتدى إليه آباؤنا من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ؛ والأنبياء أفصحوا به من بعدهم ؛ وهو عهد من الله مُؤكَّد قبل التَّوراة^(٣) أن يكون الإلتحام المقدس^(٤) معلوماً ؛ وليس هذا مما تختص به

(١) يظهر أن السبب الحقيقي لعدم إبداء هذا الكلام هو شعور صاحبه بتفاهته وهائه .

(٢) تأمل قول الراهب إن طريق العلم بالله هو إدخال روح العلم في قلوب الناس وليس النظر والتأمل والتفكير والتدبر والفقہ والفهم في آيات الله المنزلّة على رسله وآياته المبثوثة والمجلوة في كونه العظيم .

(٣) في : د.ت : التوراة ، بهذا الضبط ، وهو خطأ بين فاحش .

(٤) يقصد به : : الاتحاد كما هو معلوم في دين النصارى .

مصاحفنا فقط ، بل هو منصوص [عليه] ^(١) في مصاحف اليهود والمخالفين لنا ببيان واضح ^(٢) .

وإن الشيطان اللعين الذى عرّض أهل هذه الدنيا للموت بجسده لآدم ، حاول تغيير هذه الملة المقدسة بعد إقبال الحواريين الذين هدّوا أهل الأرض بالموعظة ، وبعد ظهور الشهداء الأصفياء على إبليس بالغبلة ، الذين هرقوا دماءهم فى أقطار الأرض فى ذات الله وفى سبيل شريعته المقدسة ؛ فلم يستطع أن يغرى أهل الدنيا ويحملهم على ضلالهم القديم من عبادة الأوثان ؛ فشبه على بنى إسماعيل فى أمر الرسول الذى اعترفوا له بالنبوّة ، فساق بذلك أنفسا كثيرة إلى عذاب الجحيم ^(٣) .

وقد كان - فيما سلف - من ذنوب إبليس وتضليله المعباد ، ما يُلَقِّيه العذاب الأليم ، يوم القيامة ، من الله سيدنا

(١) سقطت (عليه) من جميع النسخ .

(٢) يقصد أن (العهد القديم : « أسفار موسى الخمسة وكتب الملوك والقضاة والأنبياء » قد أشارت إلى مايسميه النصارى .

« الاتحاف الأقدس » وهى عقيدة التجسد والاتحاد !! ومعلوم أن هذه العقيدة مأخوذة من الديانات الوثنية القديمة السائدة فى الهند وبابل والرومان وعند المصريين القدماء وغيرهم . وقد ذكر ذلك كثير من علماء الشرق والغرب .

(٣) هذا رأيهم فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله أنى يؤفكون .

يسوع المسيح^(١) ؛ وقد ضاعف تلك الذنوب بما أُوْبِقَ فيه
هذه الأمم العظيمة .

١ - فاعتبر - أيها الملك الشريف ! - ولا تؤثر شيئاً على نجاة
نفسك يوم الحُكم والجزاء ، فإننا مُخلصون في خدمة أمورك
ومسارعون إلى تفديتك بنفوسنا ؛ ومتى قبلت قولنا وعملت
بزياننا وتقرررت عندنا إجابتك إلى ما ندعوك إليه من قبول
كلمة النجاة الدائمة التي نعرضها عليك ، لم نتوقف عن
الإلتحاق بك . فتأمل - أيها الحبيب ! - ما يحق عليك^(٢)
تقديم العمل به ، والمسارة إليه ، واغتنب بما يدين به
إخواننا في هذا القطر^(٣) من الدعاء وبذل الصدقات الزاكية
عذك ، وما منهم أحد رآك ولا شاهدك ؛ وإنما يتبرع بذلك
رغبة في أن يهديك الله إلى مرضاته

والسلام عليك - يا أيها الحبيب ! - من سيدنا المسيح
الذي أذهب الموت وقهر الشيطان ، ورحمة منه وبركة

(١) تأكيد على أن المسيح إلههم ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

(٢) في النسخ جميعها : عليه ، والأصوب - في رأينا - ما أثبتناه ،
إن شاء الله .

(٣) يعني : فرنسا .

باستنقاذك من حبائل إبليس التي كنت فيها متورطاً إلى
الآن ؛ ونسأل الله الذي له القدرة والعظمة الذي من أجله خلق
كل شيء ومن دونه لم يخلق شيئاً ، أن يهديك ويثبت في
نفسك ما دعوناك إليه ، وحضضناك عليه

وإن لم يظهر لك - يا أيها الحبيب ! - مراجعتنا بجوابك
على ما تضمنه كتابك لآفات الكتب ، فأودع ذلك إخواننا
هؤلاء ، وأطلعهم على سرِّك وما يتمثل في نفسك ونحن نضرع
إلى سيدنا يسوع المسيح أن يتولى رعايتك ، ويتكفل سلامتك
ويهديك إلى دينه المقدس ، ويسعدنا بالإيمان الصحيح به
آمين^(١) !!

(١) كتب في نهاية رسالة الراهب بقلم وخط مغارين هذا التاريخ :
(سنة ٧٨٥) ، ولعله سنة نسخ المخطوطة .

القسم الثالث

رِسَالَةٌ

الفاضل أبي الوليد الباجي المتوفى عام ٤٧٤هـ

إلى راهب فرنسكا

يرد فيها على أصول عقيدته النصرانية، ويظهر له

محاسن الإسلام، ويدعوه إليه

وَمُعْطَاةٌ بِرَأْسِهَا وَتَقَرَّرَتْ عِزُّهَا الْخَالِدَةُ إِلَى مَا نَزَعَتْ إِلَيْهِ مِنْ فِعُولِ كَلِمَةٍ أَحَدَ الزَّالِمَةِ
الَّتِي نَفَرَتْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَقُوعْ بِغَيْبِكَ عَنْ الْخَافِيكَ مِنْ أَقْلِهَا الْحَبِيبِ مَا يَجُوعُ عَلَيْهِ لَقَدْ نَمَّ
الْعَمَلُ وَالْمُتَارَعَةُ إِلَيْهِ وَاعْتَبَرْتُ بِمَا يَنْزِعُ مِنْهُ إِخْوَانًا فِي مِزَانِ الْقَدْرِ مِنَ الرُّعَاةِ وَفِي رِجْلِ
الْمُتَرَقَاتِ الرَّائِيَةِ عَنْكَ وَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ رَأَى وَلَا شَافَكَ وَأَمَّا تَجَمُّعُ بَرٍّ مِنْ غَيْبَةٍ
بِأَنْ يَهْدِيكَ اللَّهُ إِلَى مَرْضَاتِهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَيُّهَا الْحَبِيبُ مِنْ مَعِينٍ يَا أَيُّهَا الْمُسَيِّمُ الَّذِي
أَدْعَى الْحَقَّ وَفَسَّرَ الشَّيْءَ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرَثَةً بِاسْتِغْفَادٍ مِنْ جَدِّكَ يَا أَيُّهَا الْمُسَيِّمُ الَّذِي
كُنْتُ فِيهَا مُتَوَرِّدًا إِلَى الْإِلَهِ وَنَسَلْتُ اللَّهَ الرَّبَّ لَهُ الْقُوَّةَ وَالْعِزَّةَ الْقَوِيَّةَ مِنْ أَجْلِ حُلُومِهِ
شَيْءٍ وَمَتَرَعٍ وَنَمَّ يَخْلُقُ شَيْئًا أَنْ يَهْدِيكَ وَيُنْقِذَكَ مِنْ غَيْبِكَ مَا مَعْنَى الْمَالِيَةِ وَحَقِّقْهَا
عَلَيْهِ وَأَنْ لَمْ يَهْضَمْ يَا أَيُّهَا الْحَبِيبُ مِنْ أَجْزَاءِ خَوَابِكَ عَلَى مَا تَنْصَحُهُ لَنَا بِكَ تِلْكَ الْوَقُوفُ
الَّتِي بَأْوَدَعَتْ إِخْوَانًا مَوْلَاةً وَأَكْلَعَتْ عَلَى نَهْرِكَ وَمَا تَقْتَضِيهِ نَفْسِي وَتَحْسَنُ
نُصْرَجُ إِلَى مِيزَانِ الْبَشَرِ أَصْبَحَ أَنْ يَقُولَ رِعَايَتِكَ وَتَكُنْ لِي مُدَمِّنَةً وَعَلَيْكَ إِلَى
عَيْنِهِ الْمُفْتَسِرِ وَيَسْعَوْكَ يَا أَيُّهَا الْمُسَيِّمُ بِهِ آمِينَ سَهْدٌ ٨٥٤

وهذا جواب الغيبة الفاضلة الجليل العاظم

الحبيب الوليد الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ رِضْوَانُهُ عَلَى مَضَرِّهِ الرِّسَالَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَشْرَةُ لِلَّهِ وَالضَّلَاةُ عَلَى رِيسُونِهِ تَصَلَّيْتُ إِلَيْهَا الزَّائِمَاتِ الدُّنْيَا الْوَارِدِ مِنْ فَمِلَتِ
وَمَا مَثَلَتْ بِهِ مِنْ مَوْتَةٍ تَكُنْ وَأَخْضَرْتُهُ مِنْ تَصَيُّعِكَ وَأَبْرَأْتَهُ مِنْ رِيحِكَ فَجَعَلْتَهَا
مَوْتَةً تَكُنْ لَهَا بَلْعَانٌ مِنْ كَمَا تَكُنْ عَنْ أَمَلٍ مِثْلِكَ وَأَنْتَ لَنَا مِنْ حَيْلِ أَنْ تَدُنْكَ
وَنَمَاشَةُ الْعَمَلِ لِلَّهِ بِصَحْبِكَ عَلَى مَا يَنْزِعُ مِنْهُ مِنْ دُنْكَ وَلَوْ كُنَّا كُنَّا نَحْتَفِدُ بِهِ نَعْدُ
فَمُسْتَفْعِدٌ وَتَعَزُّدٌ وَصَوَائِدُ الْبَيْتِ لَدُنَّا أَجْرًا أَنْ تَأْتِي مِنْ دُونِهِ نُسْرِيهِ رَسْمًا
مِنْهُ السَّبِيلُ الْمَرْجُوبُ وَذَلِكَ عَنْ تَأْخِيرِ جَوَابِ رِغْبَتِكَ بِحَبْلِكَ وَأَبْصَارِهِ إِلَيْكَ

بهما ولا تخش بعضنا بعضاً أرتابكم مردوز الغش يا زبولوا يقولوا اشتهروا بانتم نقاصمدي
 وعلوا فرج ايماننا وانا انا ونشأ طوافنا انا وانفسنا وانفسكم ثم نعتيها ففعل الغشنة
 لله على الناذر من واليه نعتله انا يمدنيث ويمنون يث نركنك فيمنون من نورهم
 وتكون سببنا في استفادهم ذات يعالعت معاجيهم وتسلم علم من ربح انهم

سراجي - نفعني الله بكم افلا يحكم الله انتم انوا من
 انما حجة الله وشخصونه وفنصر وجهه
 بكنهه وفيه وجوده انه هو وجهه را به به

جواب الفقيه القاضى الجليل الفاضل
أبى الوليد — رحمة الله عليه ورضوانه —
على هذه الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على محمد وعلى آله وسلم
العزة لله ،

والصلاة على رسوله

تصنفتُ - أيها الراهب - الكتاب الوارد من قبلك ،
وما مَتَّ به من مودَّتكَ ، وأظهرته من نصيحتِكَ ، وأبديته
من طويِّتِكَ ؛ فقبلنا مودَّتَكَ لما بلغنا من مكانتِكَ ، عند
أهل ملَّتِكَ ، واتصل بنا من جميل إرادتِكَ ، ونَبَّهتُنا - لعمرُ
الله ! - بنصيحتِكَ على ما يلزمنا من ذلك لك ، ولولا ما كنا
نعتقد من بُعد مُستقرِّكَ ، وتَعَذُّر وصول كتابنا إليك ، لَكُنَّا
أَحْرِياء أَنْ نَأْتِي من ذلك ما يلزم ، ونسلك منه السبيل الأَوْجِب ،
ولَكُنْتُ - عندنا - جديراً بعرض الحق عليك وإيصاله إليك ؛
فقد قرَّرَ لدينا مَنْ وصل من رُسُلِكَ وأهل ملَّتِكَ علينا ما تُظْهِره
من حرصِكَ على الخير ، ورغبتِكَ في الحق ، ممَّا قَوَّى رجاءنا
في قبولكَ له ، وإقبالكَ عليه ، وأخذكَ به وإنابتكَ إليه ^(١) .

(١) في هذه الفقرة من التلطف بالراهب وحسن التأتى له ما يشعر بحرص القاضى على تأنيسه وتأليفه وجذبه إلى الحق والرشاد ، وهى مسئولية العلماء فى الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى حياً فى هداية الناس وسوقهم إلى الفلاح .

وقد كان ورد علينا - قبل هذا - كتابك ، واقترن به من دعوى حامله المُحال ، الذى كان يجب أن لا يخاطب [به] من له أقلّ حس بالاحساس ، أو يختلج بخاطر من له أدنى فهم ، [من إحياء أموات وأعظم رفات] (١) .

فألزنا القول وأوليناه الإعراض والصفح ، وجاوبناك جواب من يعتقد - [حَسَب] ما ظهر منك ، وبلغنا عنك من خطرات الغفلة - أنك أرسلتها دون تأمل ، وأظهرتها دون تحصيل ولا تحقق ، مع ظنك أنه يجوز على ضُعفاء المسلمين من ذلك ما يجوز على جماعتكم ، من تجويز مُحال (٢) ، وتصحيح ما هو فى غاية الإبطال .

فقصدنا الرفق والتأنيس لك ، وكان ذلك أفضل ما روجع به من تُرجى عودته وتنتظر إنابته وفَيْئته ؛ فإنما يستعمل الإغلاط لمن يُتَيَقَّنُ عناده ويُتَبَيَّنُ إصراره ، ولم يُرجِ انقياده ، ونحن نرجو (٣) أن نرفعك عن هذه المحطة (٤) ونُخَلِّصَكَ من هذه الوصمة ، بفضل الله وعونه وتأييده ونصره !

(١) هكذا بالأصل والنسخ جميعها وهو غير مستقيم ، ولعله : من أحياء وأموات وأعظم رفات (على سبيل المبالغة .

(٢) فى كل النسخ : فعال وهو خطأ .

(٣) فى : ١ : نرجوا .

(٤) يعنى : الانحطاط ، أو خلل الانحطاط .

ولما تكررت علينا رسائلك ورسائلك ، تعينت علينا
مفاوضتك فيما رضىناه من مسألتك ، ومعارضتك فيما اخترناه
من منهجك فى النصح الذى يجرى إليه أهل الفضل ، وأمرنا
الله به على السنة الرستل ، وكففنا عن معارضتك على ما
استقبحناه من خطابك وبخطناه من كتابك ، ومن سبب
الرستل الكرام والأنبياء المعظمين - عليهم السلام - ! - !
وانحرفنا عن ذلك إلى أن نَحْذِرْك ونُنْذِرْك ونُعْذِرْك فيما لم
يبلغك علمه ، ولم يتحقق لديك حكمه ، ونبالغ فى الرفق
بك والتبیین لك على منهج الخطب والرسائل ، لا على طريق
البراهين والدلائل ، مساعدة لك على مذهبك فى كتابك ، وموافقة
لك فى مقصدك ، فعسى أن يكون أقرب إلى اسمالتك وأبلغ فى
معارضتك ومعالجتك ! .

وإننا لنربأ بمثلك ، ونرفع قدرك عما استفتحت به
كتابك ، من أن عيسى - صلى الله عليه وسلم - ابن الله تعالى - :
بل هو بشر مخلوق وعبد مريبوب لا يعدو (١) عن دلائل
الحدوث : من الحركة ، والسكون ، والزوال ، والانتقال ،

(١) فى : ا : يعدو .

والتغيير^(١) من حال إلى حال ، وأكل الطعام ، والموت الذى كُتِبَ على جميع الأنام ، مما لا يَصُحُّ على إله قديم ، ولا يُمكن عند ذى رأى سليم ؛ ولو جَوَّزنا كونه^(٢) - صلى الله عليه وسلم - ، مع هذه الصفات والأحوال المُحدَثات ، إلهاً قديماً ، لَنَفِينَا أَنْ يَكُونَ الْعَالَمُ أَوْ شَيْءٌ مِمَّا فِيهِ مُخْدَثًا مَخْلُوقًا ، لَأَنَّهُ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَا مِنَ الْبَشَرِ وَالْعَالَمِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْجَمَادِ مِنْ دَلَائِلِ الْحَدُوثِ ، غَيْرَ مَا فِي عَيْسَى - صلى الله عليه وسلم - .

وإن الله - خلق عيسى - عليه السلام ! من غير أب ، كما خلق آدم - صلى الله عليه وسلم - من تُراب ؛ وقد حملت بعيسى أم ، ولم تحمل بآدم أنثى ولا ذكر ؛ فإذا لم يكن آدم إلهاً ، وهو الأبُّ الأول - بل هو مخلوق - فعيسى أولى أن لا يكون إلهاً ، وهو من ذُرِّيَّةِ آدم وولده ، بل هو عبد مريبوب ؛ وإنَّ هذا لواضح إلا لمن جهل معنى الحدوث ولم يُميِّز الخالق من المخلوق ! وأما من نظر فى شَيْءٍ من أبواب العلم وأيد

(١) فى : د. ت : التغيير .

(٢) أى عيسى عليه السلام .

باعتبار وفهم ، فعلامات الحدوث أوضح ، ودلائلها أصح
من أن تخفى أو تُشكل أو يمتري في أمرها من له من العلم أدنى
محل .

وقد ظهر على أيدي سائر الرسل - عليهم السلام - من
الآيات الواضحة والمُعجزات الباهرة ، مثل ما ظهر على يدي
عيسى - عليه السلام - وأكثر ؛ فلو جاز أن يدعى لعيسى
- عليه السلام - بشيء مما ظهر على يديه من إحياء ميت ،
وإبراء أكمة ، وأبرص ، بأنه ابن الله - تعالى ! - لجاز أن
يدعى ذلك لإبراهيم ، لما ظهر على يديه من سلامته من النار ،
بعد أن قذف فيها ، ولم ينج عيسى من عدد يسير من البشر
راموا - بزعمكم - صلبه وقتله ؛ ولجاز أن يدعى ذلك
لموسى - عليه السلام - لما ظهر على يديه من قلب العصا
حية ، وفلق البحر ؛ ولجاز أن يدعى ذلك للمحمد - صلى الله
عليه وسلم - لما ظهر على يديه من انشقاق القصر ونبع الماء
من بين أصابعه ، وتسبيح الحصى في يده ، وخنين الجذع
إليه ، وغير ذلك من الآيات .

لكن الآيات لا تقتضى تجويز المُحال وإحالة الجائز

الممكن ؛ وإذا كان ربنا تعالى - قديماً^(١) ، سبحانه أن يكون مُحدثاً أو مخلوقاً ، وكان من وجدت فيه دلائل الحدوث من الأكل والشرب والزوال والانتقال ، لا يكون إلا مخلوقاً مربوباً ، لم يدلّ إحياء الموتى على يديه أنه إلهٌ معبود ، وإنما يدلّ ظهور ذلك على يدَي مدّعي النبوة ، أنه نبيٌ صادق ، لأن ما فيه من صفات الحدوث لا تحيل كونه نبياً .

ولو جاز أن يقال إن عيسى - عليه السلام - هو الخالق ، لما ظهر من ذلك على يده ، والمنفرد بفعله ، لجاز أن نقول إن آدم وإبراهيم وموسى ومحمداً وسائر الأنبياء - عليهم السلام - انفردوا بخلق ما ظهر على أيديهم ، وإن جميعهم^(٢) من خلقهم ، وإنهم لذلك آلهة معبودون ! وذلك مُحال فلا خالق إلا الله ولا معبود سواه ! وهؤلاء أنبياء مكرمون ورسلاً مؤيدون ، صدّقهم الله - تعالى - بما ظهر على أيديهم من

(١) لم يصف الله سبحانه وتعالى ذاته (بالقدم) لكن هذا الوصف اصطلاح كلامي المقصود به التعبير عما ورد في الكتاب والسنة من وصف الله تعالى بأنه الأول الذي لم يسبق بشيء ، « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » (سورة الحديد / ٣) .

(٢) في : ت : جميعه .

بما ظهر على أيديهم من المعجزات التي لا يقدر عليها غيره ،
ولا تصح أن يخلقها سواه^(١) .

وأمر الدنيا أحقرُ وشأنها أنفَرُ^(٢) وأنزَرُ من أن يعتزَّ بها ذو
عقل ، أو يسكن إلى غرورها ذو لبٍّ ؛ وإنما هي دار اختبار
واعتبار وليست بدار جزاء ولا قرار ، فالسعيد من عمل فيها
وتزوّد منها إلى دار المقام الذي لا ينفذُ والنعيم الذي لا ينقضي ،
بل يتأبّد ، حيث ينفرد ربنا بالملك ويصير من أطاعه
وأفرده بالعبادة ، وآمن برسله وكتبه إلى رضاه في دار النعم
ويصير من أشرك به وكفر بشيء من كتبه أو أحد من رسله
إلى سخطه في دار الجحيم .

ونرجو^(٣) أن الله - تعالى يُنْجِيكَ ، بالإسلام منها ويبعدك
بالانتقال إلى دين محمد - صلى الله عليه وسلم - عنها .

وإن الله - تعالى - أنار قلوب جماعة المسلمين بالإسلام
وأعزَّنَّا به وأكرمنا باتِّباع محمد - صلى الله عليه وسلم -
ورضينا به^(٤) وخصَّنا بالقرآن الكريم الذي .

(١) في لسان العرب لابن منظور طبعة يوسف جياط .

(٢) شاة نافر ، هي التي تهزل ، فأنفر هنا بمعنى : أهزل .

(٣) في : ١ : نرجوا .

(٤) في جميع النسخ : له .

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ

خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾^(١)

أفضل الكتب والخاتم لها ، والحاكم عليها ، والمصدق لها ، تضمن علم الأولين والآخرين ، وأنار القلوب المؤمنين بالحق المبين ؛ فحمداً لله على ما خصنا به وهدانا له

﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾^(٢)

ويلزمنا لاجتهاد في النصيح لك ، والرفق بك ، والحرص على أن تكون من جملة هذه الأمة المكرمة ، ومن أهل هذه الملة العظيمة التاسخة لجميع الملل ، والحاكمة على سائر الفرق ، فتفوز برضى رب العالمين وتنجو من سخطه ، وتنال ثواب يوم الدين ، وتخلص من معرته ، وتسعد في الدنيا بالكون [من]^(٣) جملتنا وتحظى بالقرب من نفوسنا .

وأما ملكوت رب العالمين ، فهو المنفرد به - تعالى - لا ينبغي أن يشركه فيه طائع ولا عاص ، ولا بر ولا فاجر :

(١) سورة فصلت : آية ٤٢ .

(٢) سورة الأعراف : آية ٤٣ .

(٣) سقطت من جميع النسخ .

وإن أردت بذلك مَنْ أطاعك من مُلك الله - تعالى - فذلك حالٌ من عصاه . وحال أهل الدنيا والآخرة ، لا يخرج أحد عن ملكه ! ولكنها ألفاظ تستعملها في غير مواضعها ، لأنك لا تعرف مُقتَضَاهَا ! وَلَوْ دَدْنَا أَنَّ الله - بفضله يُيسر لك الهجرة إلينا والمثول لدينا ، فتسمع الكلام على حقيقته في معاني الألفاظ ، وتقيم وجوهها واستعمالها على ترتيبها ، وتسمع الكلام الإنهائي على الحقيقة : كلام (١)

ربِّ العالمين ، تولى حفظه ربُّنا - عز وجل - وعمر به ألسنتنا وقلوبنا ، فلا يمكن أحداً تغييره ولا تبديله ولا حرفه عن وجهه ولا تحريفه ! فلو قرع سمعك مه سورة واحدة أو آية كاملة ، لرجونا أن يكون ذلك مما يُنَوِّر قلبك ، ويستولى على نفسك ، ويعود بك إلى الدين الأفضل والسبيل الأمثل !

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢)

(١) في جميع النسخ بين القوسين كلمة : يمكن ، وهي في رأينا زائدة لضرورة لها .

(٢) سورة آل عمران : آية ٨٥ .

وقد وردَ مُتَحَمِّلاً كُتَابَكَ ، فَمَا أُوْرِدَهُ إِلَّا كَلَامُ الْبَشَرِ الَّذِي
جَزَتْ عَادَةُ أَهْلِ الضَّعْفِ بِإِيرَادِهِ عِنْدَ الْعَجْزِ وَالْفِشْلِ وَالتَّبَكُّدِ
وَالْخُورِ مَعَ التَّحْيِيرِ^(١) . وَالْإِنْقِطَاعِ وَالْاضْطِرَابِ فِي الدَّعَاوِي
وَالْأَقْوَالِ ، وَادَّعِيَا ، فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ، مِنَ الْمُحَالِ قُرْبِيًّا مِمَّا ادَّعَى
قَبْلَهُمَا مَعَ تَكْذِيبِهِمَا لَهُ فِيمَا نَقَلَ عَنْكَ ، ثُمَّ آلَتْ حَالُهُمَا إِلَى
مِثْلِ مَا آلَتْ إِلَيْهِ مِنْ تَكْذِيبِ أَنْفُسِهِمَا وَتَكْذِيبِ الْمَعْبَرِ عَنْهُمَا ،
فِيمَا نَقَلَ عَنْهُمَا ، وَتَرْجَمَهُ مِنْ قَوْلِهِمَا .

وَعِنْدُنَا مِنْ عِلْمِ شَرِيعَتِكُمْ وَاخْتِلَافِ أَخْبَارِكُمْ فِي مِلَّتِكُمْ وَمَا
تُوْرِدُهُ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنْ شُبُهَتِكُمْ فِي الْأَقَانِيمِ^(٢) وَالْإِتِّحَادِ وَمَعْنَى

- (١) في ١ : التحيير . وهو غير جائز .
- (٢) في معنى الأقانيم والإتحاد واللاهوت والناسوت والجوهر وغيره -
عند النصارى - بفرقها الثلاث : الملكانية واليعقوبية والنسطورية ، انظر :
- النصيحة الإيمانية بفضح الملة النصرانية لنصر بن يحيى بن عيسى أبي سعد
المتطليبي طبعة سنة ١٢١٢ ص ٨٠ وما بعدها .
- وحدانية الباري تعالى وتثليث أقانيمه ، لسمعان بن إكيلي القبطي من كتبة
القرن الثاني عشر الميلادي . (ضمن مباحث فلسفية دينية لبعض القدماء
من علماء النصرانية ، نشرة بول سباط ١٩٢٩ م بالقاهرة) .
- رد المسلمين وإدحاض ما يفتنون على النصارى من الاعتقاد بثلاثة آله ،
للأبي الخير بن الطيب المتطليبي ، من كتبة اليعاقبة في القرن الحادي عشر
الميلادي .
- المشرع لبول سباط ١٩٢٤ م .

اللاهوت والتاسوت والجوهر وغير ذلك من تنميقات أناجيلكم (١)
 ما لو أبدينا إليهما اليسير منه لخيرهما وبهرهما وعلمنا أن
 عندنا ، من جملتها وتفاضيلها ، ما لم ينتبه إليه أحد من أهل
 ملتكم ، ولا وصل إلى تفريغه وتتبع معانيه أولكم وآخركم ؛
 لكننا آثرنا الرفق بهما ، و (الإخفاء) (٢) عليهما ،
 والتأنيس لها ، وألنا لهما القول ، وأبدينا إليهما نبذة
 تخفيفة من الأمر ، مما لا تنفر منه (نفوسنا) (٣) ولا تتوجع
 سماعه خواطرهما ، آخذين في ذلك بأدب الله - تعالى ! - في
 (أمثالهما) (٤)

وقد رأينا ما في كتابك مما خالفت فيه جميع أهل
 ملتك ، فإنه ليس في فرق النصارى من يقول : إن المسيح
 لا ينبغي الإيمان بأحد سواه ! بل هو الإيمان بالأب عندكم
 واجب ، والأب لم يتحد (٥) بالتاسوت عندكم وإنما اتحد

(١) في ١ : أنجلايكم ، وفي د : أعلاجكم .

(٢) لعله : التخفيف عليهما .

(٣) لعل الأصوب : نفوسهما .

(٤) في جميع النسخ : أمثالهما ، وفي : بت زيادة بين حاضرتين

(لديهما) .

(٥) في جميع النسخ : يتخذ ، واتخذ .

به الابن ؛ فمن لم يؤمن بغير الابن كفر بالأب ؛ وقد
تقدّم في كتابك أنّ المسيح ابن الله ! وهذا نقض لقولك ؛ إنّه
لا ينبغي الإيمان بغير المسيح الذى هو الابن .

ولو تتبعنا ما فى كتابك من التناقض ، وفساد الوضع
ومُستحيل القول ، لما سلّم منه إلا اليسير الحقيق ؛ لكننا -
وفقنا الله وإياك ! - حملنا ذلك منك على ما عهدناه من أهل
ملّتك من قلة العلم ، والبعد عن مقاصد المناظرة ، وترك
المدارسة والمحاورة ، مع تمويهات لا تصح ، وتلفيقات لا
تثبت ولا تنصر ؛ وأرجو أن يوفقك الله ، بإرشادنا لك ، إلى
ترك التّيمويه والتعلّق بالمغالطة والكذب ، ويعوضك علم
الحقائق ، وصحيح المقاصد ، وأدب المناظرة التى تُفضى بك
إلى السبل اللّائحة والحقائق الواضحة ! .

وقد جرى من كلام الواردين من أصحابك اللّذين
اخترتهما (١) للنيابة عنك من هذا النحو ما أثبتناه بالتحجير (٢)
والتبليد والإنكار له ، بعد الإقرار له .

(١) فى ١ : د : اخترتهم ، وهو غير صواب .

(٢) فى ١ : بالتحجير .

ولوددنا أن نصير إلينا فنبلغ الغرض من تعليمك ،
ونتمكن من تفهيمك ، ونبين لك من تحقيق الكلام وتحزير
وتفصيله وتوجيهه ، وترتيب الأدلة ومقتضاها ، وإحكام
البراهين ومنتهاها ، ما يزيل كل سخيفة من نفسك ، ويظهر
من دنسها قلبك ، فتعاین الحق جلياً واضحاً والدين قوياً
لائحاً .

على أن ملِك الله - تعالى - أعظم من أن يحيط به فهم
إنسان ، أو تُستوعب صفاته بكلام أو بيان ! ، فمن عظمته
- تعالى - وقدرته وعزته ، انفراده عن الأشرار والأنداد ،
واستغناؤه عن الصاحبة والأولاد ،

﴿ مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ
إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ۖ ﴾ (١)

تفرد بالخلق والإنشاء وكشف الضر والبدوى ؛ وبعث
النبیین مبشرين ومنذرين ، فأخبروا عن ربنا بعظيم قدرته ،
وعُلُو كلمته وتعام (٢) مشيئته ، وبينوا شرائعه ، وأوضحوا

(١) سورة المؤمنون آية ٩١ .

(٢) في جميع النسخ : وإتمام .

براهينه وأمره ، كل ذلك بالكلام المبين ، والمنهج القويم
والأدلة التي تضطر من تأملها إلى الحق ، ولولا الكلام ، ما
عرف الجائز من المحال ، ولا تبيين الهدى من الضلال .
وما من نحلة ولا ملّة إلا وهي تزعم أن نفوسها نيرة بما
تعلمه ، منسجمة بما تعتقده ، وكذلك تقول البراهمة الذين
يكذبون الرسل ، والذهريّة الذين يدعون الأزل ، والفلاسفة
القائلون بقديم العالم ، والثنوية^(١) المثبتون لخلق النور والظلام
فما أحد من هذه الفرق إلا وهو يدعى^(٢) أن نفسه أسكن إلى
ما تعتقده ، وأوثق بما تنتحله ، وأنور بما يزعم أنه يعلمه
من نفوس مشيئة الرسل ومتبعي الكتب .
لكنّ وضع الكلام ونشرة وتمييزه ووصفه يعلى الحق
ويثبتته ، ويدحض الباطل ويمنحه ، وإن الله تعالى جعل الدنيا
دار تكليف وفتنة ومحنة لئلا نأينا أحسن عملا ، وجعل

-
- (١) للتعرف على هذه الفرق وعقائدها ، انظر :
- المجلد والنحل للشهرستاني .
- المقالات للبلخي أبي القاسم عبد الله بن محمود الكعبي .
- الفهرست لمحمد بن إسحاق النديم .
- المغنى للقاضي عبد الجبار الأسد ابادي ، الجزء الخامس .
- درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام أحمد بن حنبل .
(٢) في ١ : وهي تدعى .

الآخرة دار ثواب وعقاب ، ليشيب المؤمنين المحسنين ،
ويعذب الكافرين المشركين ، وجعل من أسياي الفتنه إبليس
اللعين ، وبعث النبيين يهدو إلى صراط مستقيم ؛

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (١)
فهذى بالنبيين من شاء بفضله ، وخذل إبليس اللعين
من شاء بعدله .

فأول الرسل إلى الأرض ، أبونا آدم - عليه السلام - ،
دعا إلى عبادة الله وحده ، لا شريك له ولا ولد ، وكذلك
الرسل بعده ، كلما نُسيت شريعة وتقادم عهدا ، بعث
الله رسولا إلى أهل الأرض ، يجددها ويؤكدها ، إلى أن
بعث الله - تعالى - نبيا اسمه : عيسى عليه السلام ؛ فدعا
قومه إلى عبادة ربه ومُنشئه وخالقه ؛ فأمن به اليسير والعدد
القليل ، الذين لم يطيقوا منعه ممن أَرَادَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ (٢)
الكافرين المكذبين لما جاء به من قبله (٣) ؛ حتى رَفَعَهُ اللهُ
إليه واختار له ما لديه ،

(١) سورة النساء آية ١٦٥ .

(٢) في : ١ : أعداءه ، وهو خطأ .

(٣) أى : من قبله عن ربه .

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (١)

وقد بذل دمه - بزعمكم - حرصاً على استنقاذ الناس من الضلالة ؛ فما آمن به إلا العدد اليسير ، وقد آمن بغيره من الأنبياء ممن لم يبلغ به هذا المبلغ ، أمثال من آمن بـ يعيسى ؛ فما توفى موسى - عليه السلام - حتى آمن به العدد الكثير والجَمُّ الغفير ، ولا توفى محمد - صلى الله عليه وسلم - حتى آمن به العدد العظيم الذى استحوذ به على البلاد وتغلب على الآفاق ، وأظهره الله على الدين كله ،

﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٢)

ثم استفتح بعده - بإثر وفاته - أصحابه بلاد الفرس ، على يَعدّها عن مكانه ، وتمكين سلطانها ، وعظم شأنها وقدرها ، واستفتحوا بلاد الشام ، وهى كانت أفضل بلادكم ، ومكان شريعتكم ، وإليها ينتهى حجّكم وعبادتكم ، فما صار لمن تزعمون أنه إلّٰهكم - مع بذل دمه - إلا أقل مما صار للمريويين الآدميين من النبيين ، مع إعزاز الله لهم وحمايته إليّاهم .

(١) سورة النساء آية ١٥٧ .

(٢) سورة التوبة آية : ٣٣ ، وسورة الصف آية : ٩ .

ولو كان عيسى [عليه السلام] إلهاً قاذراً ، لما احتاج إلى ذلك . ولخَلَقَهُم مؤمنين ولو شاء الله ألا يُعْصِي ، ما خلق الفتن ولا إبليس اللعين ، لكن الله تعالى خلق للجنة أهلاً للجنة ، بتوفيق الله تعالى يعملون ، وخلق للنار أهلاً للنار بخذلان الله يعملون ، ولو علم الغيب عيسى عليه السلام كما بذل دمه ^(١) ضمناً فيما يتم له ، ولا حصل له منه شيء ! .

(١) انظر في هذا :

رسالة (القيامة العامة) لأيشوعاب بن ملكون مطران نصيبين النسطوري
الدينسرى المتوفى ١٢٥٦ م (ضمن مجموع مباحث فلسفية دينية) .
وانظر كذلك : لبول سباط : المشرع ، نشرة ١٩٢٤ م .
وانظر في مناقشتها وتقنيدها :

- الإعلام : للقرطبي .
- الفصل : لابن حزم .
- الأجوبة الفاخرة : للقرافي .
- أدلة الوجودانية بفضح الملة النصرانية : الخطيب الإسكندري (مخطوط ميكروفيلم رقم ٥٤٤) يقتسم المخطوطات بجامعة الإنعام محمد بن سعود الإسلامية) .
- الرمح على اليعقوبية : لأبي عيسى الوراق (مخطوط بالمكتبة الوطنية - باريس) .
- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب : (للقس تورميذا) عبد الله الترحان .
- الرد على النصراني للقاضي عبد الجبار الجزء الخامس من كتابه : المفتي .
- وله : تثبيت دلائل النبوة .
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : لابن تيمية .
- إظهار الحق : لرحمة الله الهندي .

فَاعْتَبِرْ - أيها الزاهد - ضَعِيفُ مَا أَنْبَتْ عَلَيْهِ ، وَفَضْلُ مَا نَدَعَوْكَ إِلَيْهِ ، فَعَسَى أَنْ يُوَفَّقَكَ اللَّهُ وَيَهْدِيكَ ، فَتَصْبِرَ بِعِلْمِ اللَّهِ ، بِكَوْنِكَ مِنْ جَمَلِيَّتِنَا وَفِيئَتِكَ إِلَى مِلَّتِنَا ، فَقَدْ بَلَّغْنَا مِنْ إِرَادَتِكَ لِلْخَيْرِ وَرَغْبَتِكَ فِيهِ ، وَحِرْصِكَ عَلَيْهِ مَا حَرَصْنَا بِهِ عَلَى إِرْشَادِكَ وَهَدَايَتِكَ وَرَجَوْنَا سُرْعَةَ انْتِقَاذِكَ وَإِنَابَتِكَ ،

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ (١)

وَمِنْ أَغْرَبِ مَا تَنَاطَوْنَ بِهِ ، قَوْلُكُمْ : إِنَّهُ بِذَلِ دَمِهِ فِي خِلَاصِ الْعِبَادِ ! ، نَوْ كَيْفَ يَكُونُ لِلرَّبِّ دَمٌ ؟ ! وَالِدَمُ مِنَ الْأَجْسَامِ الْمَحْدُثَةِ الْمَخْلُوقَةِ ؟ ! وَلَوْ حَدَدْتُمْ الْكَلَامَ ، لَزَعَمْتُمْ أَنَّهُ دَمُ النَّاسُوتِ ، دُونَ اللَّأَهْوَتِ ، وَلِلزَمِكُمْ أَنْ تَقُولُوا : إِنْ الْمَصْلُوبُ هُوَ النَّاسُوتُ دُونَ ابْنِ اللَّهِ - تَعَالَى - لَكُنْكُمْ حَقَّقْتُمْ أَنْ إِلَهُكُمْ صُلْبٌ وَمَاتَ ! ! وَهَذِهِ صِفَةٌ لَا تَصَحُّ إِلَّا عَلَى مُحَدَّثٍ مَخْلُوقٍ ، لِأَنَّ الْحَيَاةَ الْقَدِيمَةَ لَا يَصِحُّ عَدْمُهَا ، وَلَئِنْ جَازَ هَذَا عَلَيْهِ ، لَيَبْجُوزَنَّ عَلَى أَبِيهِ - بِزَعْمِكُمْ - ، لِأَنَّهُ عَلَى صِفَةِ ابْنِهِ ، بَلْ ، هُوَ [هُوَ] ، عِنْدَ جَمَاعَةِ مَتَكُم ! ، فَكَيْفَ

يكون إلّهما قديماً حياً ، لم يزل ، من يجوز عليه الموت وعُدمت حياته ؟ وكيف لم يذب^(١) عن نفسه الموت ولم يقدر على دفعه عنها ، وأذهبه - بزعمكم - على ما ذكرته في كتابك ؟ وإن جاز أن يموت ويكون مع ذلك إلّهما ، فما نمنع على هذا أن يكون كل من رأيناه أو سمعنا خبره - قديماً - لم يزلوا آلهة ، وإن كان لهم أب أو ماتوا وفنيت حياتهم وعُدمت : وهل يصح أن يبلغ من الجهل الواضح وتجويز قلب الحقائق ودعوى المحال ، إلا من سقطت مقالته ، واستحكمت جهالته ، وعميت بصيرته ؟! فكيف يكون من هذه حاله يدعو إلى ما هو عليه ويتنذب إليه ؟!!

وهل يمكن أن يكون في المقالات المستحيلة ، أو الماخيل المردولة ، أشد فساداً من هذه التلفيقات التي تخجل من يوردها ، ولا يكاد يصح تكليف من يجوزها ويعتقلدها ؟!!

وإنى لأعتقد أن مثل هذا لا يخفى عليك ، مع قلة المعرفة ، والبعد عن النظر في الأدلة ، لأن هذا ليس مما يُدرك بدقيق النظر ، ولا يحتاج فيه إلى تأمل ، بل هو مما تناله

(١) في جميع النسخ : يذب .

أوائل العقول ، ويدركه - بديهية^(١) - من له أدنى تحصيل !
وأظن أن الحامل لك على هذا أمران^(٢) :

- إما أنك لم تر من الشرائع غير ما قد نشأت عليه ،
فاعتقدت أن سائر الشرائع ، تجري هذا المجرى في الاستحالة
والفساد ، فرأيت أن تستمر على ما وجدت عليه سلفك ،
إذ لم يظهر لك سبيل إلى ما هو أفضل منه .

- أو رأيت أنك قد نلت بهذا المُحال ، عند جهال أهل
ملتك ، منزلة تكره أن تهبط عنها وتبعد منها ، إذا انتقلت
إلى الدين الصحيح ، لعلمك أنك لا تنال درجة أدونهم^(٣)
منزلة في العلم ، فكيف بدرجة أعلامهم وأئمتهم وذوى
التقدم منهم^(٤) .

(١) في جميع النسخ : (يديه) .

(٢) في جميع النسخ : (أمرين) .

(٣) يقصد : أهل الدين الصحيح .

(٤) وقد صرح بذلك كبير قس (ميورقة) وأستاذ القس الكاثوليكي
أنسلم تورميذا الذى شرح الله صدره للإسلام وكتب كتابه المعروف : « تحفة
الأريب في الرد على أهل الصليب » وقد نشرته دار المعارف بالقاهرة ، بتحقيق
الدكتور محمود حمودة .

ومن طريف ما تناثرون به ، وتُضْحِكُون سامعه منكم ،
قولكم :

« إِنَّ عِيسَى ابْنَ اللَّهِ » - تعالى عن ذلك ! - ؛ وتقولون :
« إِنَّهُ مِنْ وَلَدِ دَاوُدَ » ^(١) عليه السَّلام - وهذا ثابت في
إنجيلكم ومثلوه من كتابكم ؛ وتزعمون أن جبريل ، إذ
بشر مريم به قال لها :

« إِنَّهُ يَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا وَيَكُونُ (اللَّهُ لَ) اسْمُهُ نَاشِرًا
وَيَدْعَى بَابِ ابْنِ اللَّهِ وَيُورَثُهُ اللَّهُ مُلْكُ أَبِيهِ دَاوُدَ » ^(٢)
ولا تحملون ذلك على أن داود أبوه من قبل مريم ،
لأنها لم تكن من ذرية داود ، وإِنَّمَا تحملون على أنه أبوه
من قبل يوسف النجار الذي تزعمون أنه كان زوجاً لمريم !
فإذا كان عيسى من ولد داود ، وداود عبدٌ مخلوق ، وجد
بعد أن لم يكن ، ومات بعد أن حيى ، فكيف يكون عيسى

(١) إنجيل متى الإصحاح الأول ، وانظر ، (الفصل) لابن حزم ، ورسالة
شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل) للإمام عبد الملك
بن عبد الله بن يوسف الجويني المتوفى ٤٧٨ هـ ، وانظر : الرد الجميل للغزالي .
(٢) جاء في إنجيل لوقا ، الإصحاح الأول ٣١ : ٣٣ .

« فقال لها الملاك : . . . وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع ،
هذا يكون عظيماً ، وابن العلي يدعى ، ويعطيه الرب الإله كرمى داود أبيه . . . »

الابنُ ، خالقُ داود — أبية — وإلهه ؟ ! وكيف يكون ابنا^(١) لداود المخلوق وابنا لله الخالق ؟ ! .

وهل هذا إلا جهل بمعرفة الابن من الأب ، والقديم من المحدث والخالق من المخلوق ؟ !!

ومن بلغ هذا الحد من الجهل لم يصح له اعتقاد شرع ، فكيف يدعو إليه ويتكلم عليه ؟ !

ولكن قلة التأمل ، مع حب الظهور ، يوجب التفريط ، ويورث التبلد والتعجير ! نسأل الله العصمة ! .

وقد اختلفت فرقكم في الاتحاد^(٢) الذي سمّيتهو التحاماً اختلافاً لعله لم تبلغك ، ولو كنت لدينا ، لأريناك في هذا من كلام متقدمي أهل ملّتك^(٣) ، ثم من تقرير المسلمين على ذلك " وتتبع الحجج بما لم يبلغه قط أحد

(١) في أ : (أباً) وهو خطأ .

(٢) في أ : الإيحاء .

(٣) انظر في هذا : « مباحث فلسفية دينية لبعض القدماء من علماء النصرانية » نشرة بول سباط سنة ١٩٢٩ م عن بعض المخطوطات التي كان يحتفظ بها في خزانة كتبه الخاصة .
* انظر في هذا :

رسالة الجاحظ « المختار في الرد على النصارى » وعبارة الباجي هنا تقطع بأنها كانت من مصادرة العلمية ، وقد كانت هذه الرسالة معروفة في الأندلس =

منهم ، ولأسمعناك من غرائبهِ وعجائبهِ وتلفيقاته وتناقضهِ
وفضائحه واضطراب رواة الأناجيل ، ما يملأ سمعك ويطيئش
له لبك ! لكن الكتب لا يحتمل التطويل ، لا سيما لمن
لم يرد التأليف ، وإنما أراد التقريب وخاف تحير من ورد
عليه إلا كثار بالشرح والتفسير ؛ وما أحد من أهل الملل
وأتباع الرسل ، ممن تقدم عيسى - علمه السلام - ولا ممن
تأخر عنه ، يُقرّ بآئهِ وجد الالتحام الذى تدعونه فى كتب
ولا تنزيل ، ولا [فيما] أخبر به نبي ولا رسول !

وقد أنزل ربنا ، فى كتابه الكريم ، أن عيسى بشر
بنبيينا محمد - صلى الله عليه وسلم^(١) ؛ فإما أن يكون علم
هذا عندكم ، وإلا فقد كتبه أخباركم ومحوه من أناجيلكم

== فى هذا الوقت لأن معاصر الباجى ابن حزم قد أفاد منها فى كتابه : الفصل
فى الملل والأهواء والنحل .

وانظر ما كتبه كل من الكندى الفيلسوف الوراق والبلخى والقاضى عبد
الجبار والجوينى والغزالي والسوأل المغربى ، والخزرجى ، والقرطبى ،
والإسكندرى ، ونصر المتطبيب وغير هؤلاء .

(١) قال تعالى :

« وإذ قال عيسى بن مريم يابنى إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما
بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات
قالوا هذا سحر مبين » .

(سورة الصف : الآية ٦) .

فقد قرأناها معزبة وعلمنا من اختلافها واضطرابها ما دلنا على أنه قد دخلها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان (١) :

ومن ذلك ما في الإنجيل من رواية متى (٢) : إن بين إبراهيم ويوسف الذى ترعمون أنه زوج مريم اثنتان (٣) وأربعون ولادة ! ، وفي رواية لوقا : بين إبراهيم والمسيح خمسة وخمسون رجلاً ، ليس فيهم من أسماء الذين في رواية متى إلا عدد يسير .

ولا تكاد هذه الروايات تتفق في شيء ، والإيمان بها عندكم واجب - على اختلافها - لأن الإنجيل كتابكم ، وأصل شرعكم ! فكيف يصح لكم الإيمان بما يختلف ولا يتفق ، ويتباين ولا يتعاضد (٤) ، وكتابنا المحفوظ يحفظه الصغير والكبير ، لا يمكن أحداً الريادة فيه ولا النقصان ،

(١) يشير إلى هذا الجوينى في رسالته : شفاء الغليل ، انظر مقدمتها نشرة الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء بالرياض سنة ١٤٠٣ هـ .

(٢) في : ا : متا .

(٣) في : ا ، د : اثنتان .

(٤) انظر دراستنا لهذه المسألة في مقدمة تحقيقنا لكتاب الإمام الغزالي :

الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل .

نشر دار أمية بالرياض ١٤٠٣ هـ .

والذى يقرأ به ، مَنْ فى أبعد المشرق ، هو الذى يقرأ به
مَنْ فى أبعد المغرب ، دون زيادة حرف ولا لفظة ولا اختلاف
فى حركة ولا نقطة !

وإِنِّى لأعجب - أيها الراهب - على ما ينقل إلينا من
فضلك فى قومك ، وتقدمك عند أهل ملَّتكَ - ممَّا يبدو
من فرط غفلتك وعدم معرفتك ، فيما تضمنه كتابك من
أن إبليس اللعين يقدر أن يُضِلَّ مَنْ شاء الله أن يهديه إلى
الدين القويم ، مع قولنا ، وقولك فى كتابك :

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)

فأى قدرة له ، إذا كان قد بذل دمه فى نقض ما شرعه
إبليس وغيره من خلقه ، فلم يقدر على إصلاح ما أفسده ،
ولا استرجاع ما أحدثه ، ولا تقويم ما عوجّه ، وإبليسُ
اللعين لم يبلغ ، فيما ناله من ذلك ، سَعَتُ دمه ولا تغير
حاله ، ولا تعجسد لغير جسده ولا انتقل إلى غير ما كان

(١) لقد تكررت هذه الآية فى سورة كثيرة من القرآن الكريم مثل :

البقرة ٢٠ ، والبقرة ١٠٦ ، والبقرة ١٠٩ ، والبقرة ١٤٨ ، العنكبوت ٢٠ ،
فاطر ١ .

عليه ؟ ! إن هذا كَمِماً كان يجب^(١) ألا يجوز على أقل تلاميذك
وأصغر أتباعك ، [و] ممّا كان يجب أن لا يجوز على أضعف
الناس علماً وأقلهم فهماً !

ولكن ليس هذا بأغرق من قولكم : « إن إبليس عرض^(٢)
لعيسى - الاله - بزعمكم - ورقى به أعلى جبل وأراه زهرة
الدينيا ، وقال له :

إن عبدتني مُدَّتْكَ جميع هذا ! فلما سمع المسيح من
كيد إبليس اللعين ، عاذ من شره واستجار من فتنه بصيام
أربعين يوماً وأربعين ليلة ؛ فأمسك إبليس عنه »

فهل لمن جوز هذا على ربّه ، وأخبر به عنه ، مُسْكَةٌ
أَوْ بَقِيَتْ بيْنه وبين التمسك بالحقائق والديانة نسبه ؟ !
أليس الإله هو الخالق لإبليس والقادر على هلاكه ،
متى شاء والمالك للأرض والسموات وما بينهما دون شريك
ولا [نِدْ] ؟^(٣)

(١) في ١ : وجميع النسخ : إن لما هذا كان ألا يجوز . . . إلخ .

(٢) في ١ : عرض بعيسى .

(٣) في جميع النسخ : (تمييز) .

فكيف يخاف مَنْ هذه صفتُهُ بعضٌ مَنْ خلقه أَنْ يفتنه؟
أو كيف تحمِلُ إبليسَ الأرضُ أو تُظِلُّهُ ، وهو يخاطبُ ربّه
ويدعوه إلى عبادته ويعدُّ أَنْ يُشَيِّبَهُ على ذلك ، ويملكه زينة
الحياة الدنيا ، وهى مُلكه ومنْ خلقِهِ ، وربُّه يخافُ فتنته
ويستجيرُ منه بالصيام ؟ ! !

وكيف يقول :

إِنَّهُ يَعَاقِبُهُ فِي الْآخِرَةِ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ ونَارِ الْجَحِيمِ ،
وهو لا يستطيع أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ مِنْهُ ومنْ فتنته في الدنيا ؟ .
وهل قدرته في الآخرة إلا كقدرته في الدنيا ؟ ! وكيف
تزعمُ أَنه سليمٌ من حياثلِ إبليس وخدعه وهو يخافُ على
نفسه ، ويحتاجُ إلى مَنْ يسلمه منه ، وهو القاهرُ والخالقُ
لإبليس ، كيف شاء ، والمُهْدِكُ له إذا شاء ، تعالى اللهُ عما
يقول الظالمون علواً كبيراً .

وإن الله - تعالى - بلطفه وحكمته وعطفه ونعمته ،
بعث محمداً - صلى الله عليه وسلم - فختم به الرِّسالةَ وأكمل
به النبوة ، وجعله آخرَ المرسلين وبعثه إلى جميع العالمين ،
ففضله بهذه الدرجات الرفيعة ، وأبقى شريعته إلى يوم الدين ،

وأكرمه بهذه المنة العظيمة ، بَعَثَهُ على حين فترةٍ من الرسل ودروسٍ من السُّبُل ، وجعل بالشرائع ، وبُعْدٍ عن معرفة الأديان والمذاهب ، وقد دخل جميعها التبديل والتغيير وقد خالفت اليهود وسائر الملل ، عيسى ابن مريم - عليه السلام - وردت ماجاء به ، وأنكرت ما دعا إليه ، واختلفت النصراني بعده على فرق^(١) ، كلها قد ضلّت عن السبيل المستقيم والمنهج القويم ، وأظهرت من الجهالات ما تحيله العقول ، وعبدت المجوس نيرانها ، والشنوية نورها وظلامها والعرب أصنامها وأوثانها ، وادّعوا لله الصاحبة والأولاد وجعلوا له الأشرار والأنداد ؛ فابتنّته^(٢) الله من خير الأمم - وهم بنو إسماعيل عليه السلام - ثم من خير بني إسماعيل وهم قريش ، قطب العرب وأفصحها اللسان ، وأخلصها عنصراً ، وأرجحها - في معالي الدنيا - عقولاً ، وأثقيها أفهاماً ، وأتمها دهاء ، وأعظمها غناء ، وأكرمها أخلاقاً ، وأجودها أكفأ ، وأطيبها أعراقاً - ، فقام منفرداً فيهم ،

(١) في فرق النصراني انظر كتاب :

« النضيحة الإيمانية بفضح الملة النصرانية » .

لأن سعي بن عيسى المتطبيب ، وقد كان نصرانياً فشرح الله صدره للإسلام .

(٢) في : د : فابتنّث الله .

يدعوهم إلى عبادة الرحمن ، وخلع الأوثان ، فخالفه في ذلك
 القريب والبعيد والعدو والصديق ؛ فأتاهم بالآيات المعجزات
 التي لا يصح فيها تمويه ولا تلبيس ولا تخيل ولا تحريف ،
 من انشقاق القمر بحضرة جميع من آمن به وكفر ، ممن
 غاب عنه ومن حضر ، ونبع الماء من بين أصابعه في قدح
 صغير ، حتى توصأ منه العدد الكثير ، وتسبيح الحصى في
 يده ، وحنين الجذع إليه ، وإطعام العدد الكثير من الطعام
 اليسير ، ورى الجيش العظيم من الماء القليل الذي لا يكفي
 النفر اليسير ، وإبراء العيون بإمرار اليد عليها ، وغير ذلك
 من المعجزات - التي لو شئنا أن نتتبعها ، لعظم بذلك الكتاب
 وخرجنا عما قصدنا من الاختصار ، و [قد] تتابع ذلك في
 مقامات جمّة بمعانٍ جميع الأمة ، والإخبار بالغيوب على
 وجه يباين التكهن^(١) ، والإتيان بقصص الماضين وذكر
 الأنبياء المتقدمين ، على حقيقة ما كانوا عليه - مما لا
 يبلغه من أفنى عمره في تعلّم^(٢) ذلك ومدارسة أهل العلم به -
 من غير أن يُعلم بمدارسة كتاب ولا مذاكرة أصحاب ؛ وقد

(١) في جميع النسخ : التكهن .

(٢) في ١ ، د : تعلّم .

عَلِمَ أَنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يَخْفَى لِمَنْ تَنَاوَلَهُ ، وَإِنْ رَامَ سِتْرَهُ
وَكَتَمَانَهُ .

ثُمَّ أَكْرَمَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - بِالْمُعْجَزِ الَّذِي فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهِ
عَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي تَحَدَّى ^(١) بِهِ
الْإِنْسَ وَالْجِنَّ أَجْمَعِينَ ؛ قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى :

﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ
يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ
وَكَذُو كَانَ يَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ ^(٢)

فَتَحَدَّى بِهِ الْعَرَبَ وَالْعَجَمَ وَجَمِيعَ الْأُمَمِ ، وَالْعَرَبُ فِي
ذَلِكَ الْوَقْتُ أَهْلُ فَصَاحَةٍ وَبَيَانٍ وَتَنَاهَا فِي ذَلِكَ الشَّأْنِ ؛ فَلَمْ
يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ ^(٣) يَأْتِيَ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، مَعَ مَا
أَخْرَجَهُمْ إِلَيْهِ خِلَافَتُهُمْ لَهُ مِنْ سَفْكَ دِمَائِهِمْ ، وَهَتَكَ
أَسْتَارَهُمْ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ، وَالْأَسْتِيلَاءَ عَلَى بِلَادِهِمْ ، وَأَمْوَالِهِمْ ^(٤) ،

(١) فِي كُلِّ النُّسخِ : هَدَى . وَهُوَ خَطَأٌ فَاحِشٌ .

(٢) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ٨٨ .

(٣) فِي ١ : عَلَى أَنْ يَأْتِيَ .

(٤) فِي كُلِّ النُّسخِ : وَأَحْوَالِهِمْ .

وخرجهم عن أوطانهم ، ومفارقة لهم آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وأزواجهم ؛ وكان إتيانهم بسورة من مثله ، لو استطاعوا ذلك ، أسهل عليهم من تكلف^(١) الحرب والصبر على ألم الجراح ! فكيف بالصبر على جميع ما ذكرناه ، مع أنه نشأ معهم وبينهم ولم يتعلم ما لم يتعلموه ولا لقي من لم يلقوه ؛ ولا انفراد بالدرس دونهم والقراءة بينهم ؛ فقد قرأ غيره ودرس وعلم وتعلم وكتب ؛ وإلى زماننا هذا ، لم يستطيع أحد أن يأتي بسورة من مثل سورة ولا بآية من آياته ! وهذه أعظم معجزة على يد نبي ؛ لأن كل معجزة كانت قبله قد امتنعت مشاهدتها وانقضت وقتها ، وإنما ينقل إلينا ذكرها ونُخبر عنها ، والخبر يدخله الصدق والكذب ، ولولا أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - أعلننا بصحتها ، وهو الصادق ، لما وقع لنا العلم بوجودها ومعجز القرآن باق بين أظهرنا ، ودائم عندنا لا ينقطع وقته ولا ينقضي ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين ، يدل في كل وقت وأوان على صحة ما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - من شريعته التي اختارها له أفضّل الشرائع وأبينها حكمة وأوضحها أحكاماً وأتمها قواماً .

(١) في ت ، د : تكليف .

فَأَمَرْنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأَنْ نُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا ظَهِيرَ وَلَا نَدَّ وَلَا صَاحِبَةَ وَلَا وَلَدًا ، نُؤْمِنُ
بِمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، وَأَنَّ الْمَسِيحَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَبْدُ
اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْحِسَابِ وَالْثَوَابِ
وَالْعِقَابِ ، وَأَنَّ مَنْ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وَبِمَا جَاءَ بِهِ ، فَلَا بَدَّ لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَنْ مَنْ كَفَرَ بِهِ أَوْ بِشَيْءٍ
مِمَّا جَاءَ بِهِ ، فَإِنَّهُ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ ؛ وَشَرَعَ لَنَا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَإِقَامَةَ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ، وَالصِّيَامِ
وَالْحَجِّ ، وَجِهَادَ مَنْ كَفَرَ ، وَصَلَةَ الْأَرْحَامِ ، وَرَعَبَ فِي
التَّوَاضُعِ ! وَالْعَدْلِ ، وَالْإِحْسَانِ وَالْبَذْلِ ، وَالتَّسَاوَى فِي الْحَقِّ
وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَالصَّدْقِ ، وَالتَّنَاصُفِ ، وَالتَّعَاطُفِ ، وَالتَّعَاوُنِ
عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَالْأَخْذَ بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ ،
وَالْتَزَهْدَ فِي الدُّنْيَا ، وَالتَّنْفُلَ فِيهَا ، وَالتَّجَافَى عَنْهَا ،
وَالنَّبَذَ لَهَا .

وَحَصَّنَا عَلَى تَعَلُّمِ الْعِلْمِ وَأَوْجِبِهِ عَلَيْنَا ، وَنَدَبَنَا إِلَيْهِ وَإِلَى
الْإِرْتِحَالِ فِي طَلَبِهِ ، وَالتَّتَبُّعِ لِدَقِيقِهِ ، وَالْاجْتِهَادِ فِي طَلَبِ
صَحِيحِهِ وَتَمْيِيزِهِ مِنْ سَقِيمِهِ ، وَالنَّظَرِ فِي أَدْلَتِهِ ، وَوَضْعِهَا
مَوَاضِعَهَا ، وَدَفْعِ الشُّبُهَةِ الْمُعْتَرِضَةِ عَلَيْهَا وَالْمُعَارِضَةِ لَهَا ،

وأعلمنا أنَّ ذلك من أرفع أبواب شريعتنا ، وأفضل ما يصرف
إليه هممتهم أولو الفضل منا .
ونَهَانَا عَنْ الْمُتَكَبَّرِ وَالْفَحْشَاءِ وَإِتِّبَاعِ الضَّلَالَةِ وَالْأَهْوَاءِ
وَالْكِبَرِ وَالْخِيَلَاءِ ، وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَالْكَذِبِ وَالْبَهْتَانِ
وَأَخَذَ (١) مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ خَاصَّةٍ بِأَبْلَغِ غَايَةٍ ، مِنْ إِتْعَابِ
نَفْسِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَتَكْلُفِ مِنْهَا مَا لَمْ يَسْتَطِعْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ
مِمَّنْ عَاصَرَهُ وَأَتَى بَعْدَهُ ، وَوَقَايَتِهِ لِأَصْحَابِهِ بِنَفْسِهِ فِي
الْحُرُوبِ وَأَوْقَاتِ الشَّدَائِدِ ، وَاجْتِنَابِ كُلِّ مَا نَهَى عَنْهُ مِنَ
الْمَآثِمِ وَقَبِيحِ الْأَحْوَالِ ، وَمَذْمُومِ الْخُلُالِ [مِنْ حَيْثُ لَوْ كَانَ
مِنْ أُمَّةٍ تَوَارَثَ أَهْلُهَا الشَّرَائِعَ مِنْ أَوَّلِ الْأَزْمَانِ ، ثُمَّ لَمْ يَنْتَقِلُوا
عَنْهَا وَلَا تَبَدَّلُوا بِهَا] (٢) بَلْ دَوَّنُوا فِيهَا الدُّوَاوِينَ ، وَصَنَّفُوا
فِيهَا التَّصَنُّيْفَ وَالتَّأْلِيفَ ، وَكَثُرَ فِيهَا عِلْمَاؤُهُمْ وَائِمَّتُهُمْ
وَكَثُرَ الْوَارِثُ لِذَلِكَ عَنْهُمْ ، مِمَّنْ قَطَعَ عَمْرَهُ بِقِرَاءَةِ ذَلِكَ
وَدَرَسَ كُتُبَهَا ، وَمُلَازِمَةِ عِلْمَائِهَا ، لَقَصَّرَ عَمَّا ظَهَرَ مِنْهُ مِنَ
صَحِيحِ الْأَحْكَامِ وَرَفِيعِ الْأَحْوَالِ وَالْإِصَابَةِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ
وَالْتَصَرُّفِ وَالزِّيِّ ، وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ، وَالْجُلُوسِ ، وَالْمَشْيِ

(١) أى : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) مابين الخاصرتين مضطرب المعنى قلق العبارة .

والأخذ ، والإعطاء وجميع الحركات والسكنات واللحظات ،
وذلك كله مما يشهد عنه من فهم معانيه وتأمل - في ذلك -
مقاصده وعرف وجه الصواب فيها ، وأنه من عند الله الذي
يوفق أنبياءه ، ويرشد رسله وأوليائه ، ويشرح لهم الشرائع
التي تشهد بصدقهم صحتها وتبين الحكمة في تفاصيلها
وجملها .

وكان - صلى الله عليه وسلم - مع ذلك متقلاً من
الدنيا مؤثراً غيره بها ، حين تعذر لها وقت الشح بيسيرها ،
مطرحاً لها معرضاً عنها ، حين إقبالها مع عظيم ما فتح عليه
منها وبسط له فيها ، يبشئها في أهل ملته والمستحق لها من
غيرهم ، لم يمنعهم انحرافهم عنه وتكذيبهم له من إتيانهم
العدل ، وإنصافهم بالقول والفعل ، وكان حظه وحظ
أهله وأقاربه من الدنيا وما فتح عليه منها أقل حظ ، لم
يشبع هو وأهله من طعام ثلاثة أيام متوالية ، ولا لبس
ولا ألبسهم ، إلا أخشن الثياب ، ولا سكن ولا أسكنهم
إلا أذن المساكين .

لا يدعى مُحالاً ولا يقول إنه يعلم من الغيب ، إلا
ما أعلمه الله - تعالى - ، فإن سئل عن غيره ، صدف علمه

إِلَى اللَّهِ - تعالى - ، وَلَا يَدْعَى أَنَّهُ يَغْفِرُ ذَنْبَ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِهِ ؛
فَإِنْ سُئِلَ الدَّعَاءُ ، دَعَا لِلْسَّائِلِ بِالْمَغْفِرَةِ ، وَأَعْلَمَنَا أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يُؤَاخِذُ بِهَا سِوَاهُ ، يَجَالِسُ الْعَبْدَ ، وَيَزُورُ
الضَّعِيفَ ، وَيَرْحَمُ الصَّغِيرَ ، وَيُؤَقِّرُ الْكَبِيرَ .

لَوْ جَازَ عَلَيْهِ - مَعَ ذَلِكَ - الْكَذِبُ لَجَازَ عَلَى مُوسَى
وَعِيسَى وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ ؛ فَإِنَّا لَا نَعْلَمُ صِدْقَهُمْ وَلَا مِمِّزَنَا مَا
جَاؤُونَا بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِمَّا جَاءَنَا بِهِ الْكَاذِبُونَ وَالْمُتَحَيِّلُونَ مِنَ
الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ ، إِلَّا بِمَا ظَهَرَ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ
وَمَا أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَبِينُ وَأَوْضَحُ
وَأَتَمُّ وَأَبْلَغُ ؛ وَلَوْ جَازَ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا : إِنَّ مَا أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ
مِنْ جُمْلَةِ التَّخْيِيلِ ، لَجَازَ لِلدَّهْرِيَّةِ وَالْفَلَّاسِفَةِ وَالْبِرَاهِمَةِ
وَالثَّنَوِيَّةِ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ الرِّسْلَ ، أَنْ يَقُولُوا : إِنَّ جَمِيعَ مَا جَاءَ
بِهِ مُوسَى وَعِيسَى وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - مِنْ ذَلِكَ
الْبَيِّنَاتِ ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ ! - وَلَسَا كَذِبَتْهُمْ آيَاتُهُمْ وَمَعْجَرَاتُهُمْ ،
وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ تَصْدِيقُهُمْ ، لَزِمَكُمْ وَجَمِيعُ الْأُمَمِ تَصْدِيقُ
مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ؛ فَمَا جَاءَ بِهِ أَبِينُ وَأَظْهَرُ وَأَعْظَمُ !
وَإِنَّكَ - أَيُّهَا الرَّاهِبُ الَّذِي نَحْرُصُ عَلَى تَخْلِيصِكَ مِنَ
الضَّلَالَةِ ! - إِنْ سَمِعْتَ نَصَحْنَا لَكَ ، وَأَطَعْنَا فِيمَا بِهِ
م ٧ - رسالة راهب

أمرناك ، وَرَدَّتْ الآخِرَةُ فِي جَمَلَتِنَا مِنْ أَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ
السَّلَامُ - النَّبِيُّ الْمُكْرَّمُ ، فَتَسْعُدُ بِشِفَاعَتِهِ ، وَتَشْرَبُ مِنْ
حَوْضِهِ ، وَتَسْكُنُ الْجَنَّةَ مَعَهُ ! .

وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ - تَعَالَى - أَنْ لَا يَعْدِلَ بِنَا عَنِ الطَّرِيقَةِ
الْمُثَلَّى ، وَلَا يَصْرِفَنَا عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى ، وَأَنْ يَسْتَنْقِذَكَ مِنْ
مَكَايِدِ إِبْلِيسَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا مُتَوَرِّطٌ ، وَبِحَبَائِلِهَا مُتَعَلِّقٌ
وَيُخَدِّعُهَا مُتَحَيِّرٌ ! . مِنْ تَمَادَى عَلَيْهَا ، نَالَ الشَّقْوَةَ وَطَوَّلَ
الْجِسْرَةَ فِي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ ، وَيَوْمَ النَّدَامَةِ : يَوْمَ لَا يَنْفَعُ
نَصْحٌ ، وَلَا يُقْبَلُ عُذْرٌ .

﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ (١)

﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ (٢)

وَلَا مُسْتَقَرَّ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ ؛ فَمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ
صَالِحًا ، فَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ ، وَمَنْ جَعَلَ لِلَّهِ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا
فَدَرَكُ النَّارِ مَثْوَاهُ ، أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا ، وَأَمَاتَنَا عَلَى الْإِسْلَامِ الْمُبْعَدِ
عَنْهَا ! .

(١) سورة الفرقان ٢٧ .

(٢) سورة النبأ ٤٠ .

فلا يُعْرَنَكَ - أيها الراهب ! - حُطُوتُكَ عند أهل مِلَّتِكَ
ومكانتِكَ في مكانِكَ ، واستجلابُ نفوسهم ، واستمالة قلوبهم
بِالْفَاطِ تَزْخَرُفُهَا لا تعلم معانيها ، ولا تعرف حقيقة المراد
بها ، ولا مُقْتَضَى القول فيها ؛ من قولك :

« الجواب الروحاني والكلام الإلهي ، وما أشبه ذلك من
الفاظ كثيرة سمعتها فنقلتها إلى غير موضعها ، واستعملتها
على غير وجهها ؛ فَإِنَّكَ لو سُئِلْتَ عن مقتضى ذلك ، لَأَسْلَسْتَ
عدم معرفتك إلى العي والحصر ، والعجز عن التقدم
والتأخر ! ، فَإِنْ استعملك لها على غير وجهها دليل على
جهلك بها .

فإِنْ قِيلَتْ نَصَحِي ، وسمعت موعظتي ، أخرجناك -
بعون الله - من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، ومن خيرة الشك
إلى تيقن الحق ، وأريناك من طرق الاستدلال ، وتمييز
البراهين والأمثال ، ما يشرح صدرك ، ويُنور قلبك ،
وتَعَلَّمَ به الحقائق ، ومَعَانِي هذه الألفاظ التي أَنْتَ بها مُعْجَبٌ ،
ومُخْطِئٌ في إيرادها على غير وجهها ، وتَتَيَقَّن أنها مِنْ أَقْل
أبواب الكلام ، وأضعف ما يتمسك به ذوو الأحلام .

وإنَّ أَبَيْتَ إِلَّا الاستكبارَ والعُتُوَّ ، والإِصرارَ ، والغُلُوَّ
والإِلحادَ ، والطغيانَ ، والعنادَ ، والعصيانَ ، فإنَّكَ لن
تُعْجزَ ربَّكَ - ، ولن تَنْجُوَ من ذنبِكَ ، وذنوبٍ من اتَّبَعَكَ ،
وَضَلَّ بِكَ ! والكلامُ بغيرِ علمٍ في الدِّينِ كَذِبٌ وإِفْكَ على
ربِّ العالمين ،

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ
هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ
اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (١)

فلا تُؤثِّرَ على خِلاصِ نَفْسِكَ وخِلاصِ من تَبِعَكَ شيئاً
من عَرَضِ الدُّنْيَا وزُخْرُفِهَا فإنَّكَ لا يَنْفَعُكَ جَهْلُ من اغْتَرَّ
بِكَ فيها يومَ الُورودِ على رَبِّكَ ! .

وقد أودعنا صَاحِبِيكَ الوارِثِينَ عَلَيْنَا سرّاً وجَهراً
وَبَدَءاً وَعَوِداً ما نَعْتَقِدُهُ مِمَّا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ مِنَ الإِسْلامِ
وَحَصَّنَا بِهِ مِنْ بَيْنِ الْأَنامِ ، وأَكْرَمَنَا بِهِ مِنْ اتِّبَاعِ نَبِيِّنا
مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

﴿ قُلْ يَسْأَلِ الْكِتَابَ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ
سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ
وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا
أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا
أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١)

﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ
نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢)

والله نسأل (٣) أن يهديك ، ويهدي بك مَنْ قَبْلَكَ فتفوز
بأجورهم ، وتكون سبباً إلى استنقاذهم ! فَأَنْتَ - فيما
بلغنا - مُطَاعٌ فِيهِمْ .

﴿ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ (٤)

كامل جواب الفقيه الأجل القاضي الأعدل أبى الوليد
الباجى - رحمه الله وغفرله ونصّر وجهه بمنّه وكرمه وجوده
إنّه ذو رحمة واسعة وربّ غفور .

(١) آل عمران ٦٤ .

(٢) سورة آل عمران ٦١ .

(٣) فى ١ ، د : نسئل .

(٤) سورة طه ٤٧ .

من أهم المراجع

- الإسكندري : الخطيب :
- أدلة الوجدانية في الرد على الملة النصرانية ، نسخة مصورة
عن مخطوط بمكتبة طوبقوسراي ، رقم الميكروفيلم (٤٥٤)
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
- ALANDALUS (مجلة دورية متخصصة) تصدر في
أسبانيا .
- أيشو عاب بن ملكون النسطوري :
رسالة القيامة العامة ، نشرة بول سباط ، ١٩٢٩ م .
- البلخي : أبو القاسم :
المقالات ، بتحقيق فؤاد سيد ، الدار التونسية للنشر
١٩٧٤ م .
- ابن تيمية : أحمد بن عبد الحلیم :
- درء تعارض العقل والنقل ، بتحقيق الأستاذ الدكتور
محمد سالم ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، مكتبة ومطبعة
المدني بالقاهرة ، بدون تاريخ .
- الجاحظ : المختار في الرد على النصارى . مع دراسة وتعليق
للدكتور محمد عبد الله الشرقاوى . دار الضحوة - القاهرة .
- الجوينى : إمام الحرمين أبو المعالي :
شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل ،
نشره د. أحمد السقا ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية
باليابان ، ١٤٠٣ هـ .
- الحجوى : د. عبد الرحمن : التاريخ الأندلسى . القاهرة
١٩٨٣ م .
- الحريرى : قلائد العقيان ، طبعة سنة ١٢٧٧ هـ .
- ابن حزم الظاهري :
الفصل في الملل والأهواء والنحل ، القاهرة ١٣١٧ هـ -
١٣٢١ هـ .
- الخزرجى : أبو عبيدة :
مقامع هامات الصليبان ، صورة مخطوط رقم (٤٥٤)
بجامعة الإمام محمد بن سعود ، ونشره د. محمد شامة
بغنوان : بين الإسلام المسيحية ، مكتبة وهبة بمصر .

- ابن بخلكان ، أبو العباس أحمد . :
- وفيات الأعيان وأبناء الزمان ، بتحقيق الشيخ محيى الدين
عبد الحميد نشر مكتبة النهضة المصرية . :
- رجمة الله بن خليل الهناي . :
- إظهار الحق ، بتحقيق عمر الدسوقي ، القاهرة . :
- الزركلى : خير الدين :
- الأعلام ، دمشق . :
- سباط ، يول :
- * مباحث فلسفة دينية لبعض القدماء من علماء النصارى
القاهرة ١٩٢٩ م . :
- * المشروع ، القاهرة ١٩٢٤ م . :
- سمعان بن إكليل القبطى :
- وحدانية البارئ تعالى وتثليث أقانيمه نشرة بول سباط ١٩٢٩ م .
- السموأل بن يحيى المغربى ، إفحام اليهود ، بتحقيق
د. محمد عبد الله الشرقاوى . :
- الشهرستانى ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر :
الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، مصطفى
الحلبى بمصر ١٣٩٦ - ١٩٧٦ م . :

- القرطبي : : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ،
نشرة السقا - القاهرة .

- ابن الطيب ، أبو الخير اليعقوبى :
رد المسلمين وإدحاض مايفتثتون به على النصارى ، نشرة
بول سباط ١٩٢٩ م .

- الظاهرى ، أبو عبد الرحمن :
ابن حزم خلال ألف عام ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت .
- عبد الجبار الأسد ابادى : (القاضى المتوفى سنة ٥٤١٥ هـ) .
المغنى ، الجزء الخامس ، بتحقيق محمود الخضيرى ،
الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٥٨ م ، تثبيت دلائل
النبوة ، بتحقيق د . عبد الكريم العثمان ، نشرة دار
العروبة ، بيروت .

- عبد الله بن عبد الله الترجمان (القس تورميذا) :
تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب . نشرة بدون
تاريخ .

- الغزالى : أبو حامد :
الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، بتحقيق
الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى ، دار أمية ١٠٤٣ هـ .

- القرافى : أحمد بن إدريس الصنهاجى :
الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة فى الرد على
اليهود والنصارى ، مخطوط بمكتبة جامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية ، وطبع على هامش كتاب : الفارق بين
المخلوق والمخالق ، (طبعة رديئة) ، مطبعة الموسوعات
بمصر ، بدون تاريخ .
- جيس كولان ، ج . س :
الأندلس ، مترجم عن دائرة المعارف الإسلامية ، نشر دار
الكتاب اللبنانى والمصرى ، ١٩٨٠ م .
- المقرئى : أحمد بن محمد التلمسانى :
نفتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، بتحقيق
د. إحسان عباس ، طبعة دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ .
- ابن منظور :
لسان العرب ، نشرة يوسف خياط ، دار اللسان ، بيروت .
- النديم ، محمد بن إسحاق :
الفهرست ، دار المعرفة بيروت .
- نصر بن يحيى بن عيسى المتطبب :
النصيحة الإيمانية بفضيح الملة النصرانية ، طبعة ١٣١٢ هـ
القاهرة .

للمحقق

- ١ - مبادئ السَّببية بين الغزالي وابن رشد وابن عربي (رسالة دكتوراة) .
- ٢ - موقف الصوفية من العقل (رسالة ماجستير) .
- ٣ - تأملات حول وسائل الإدراك في القرآن الكريم ، عالم الكتب بالرياض ١٠٤٣ هـ .
- ٤ - الإسلام والنظر في آيات الله الكونية منحة المكرمة ١٤٠٥ هـ .
- ٥ - الأنجيل بين انقطاع السَّنَد وتناقض المتن طبعة ثانية الدار البيضاء .
- ٦ - ابن عربي : الرجل والمذهب حولية كلية دار العلوم ١٩٨٣ م .
- ٧ - دراسة وتحقيق كتاب : « الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل » لحجة الإسلام الغزالي ، دار أمية بالرياض ١٤٠٤ هـ .

- ٨ - دراسة وتحقيق كتاب : « إفتحام اليهود » للسموأل بن يحيى المغربي . كان يهودياً فأسلم .
- ٩ - دراسة وتحقيق : « النصيحة الإيمانية بفضيحة الملة النصرانية » لنصر بن يحيى بن سعيد المتطيب كان نصرانياً فأسلم .
- ١٠ - دراسة وتحقيق كتاب « مسالك النظر في نبوة سيد البشر » لسعيد بن الحسن الإسكندراني ، كان يهودياً فأسلم .
- ١١ - دراسة وتحقيق كتاب الجاحظ : « المختار في الرد على النصاري » - دار الصحوة بالقاهرة ١٩٨٤ م .
- ١٢ - دراسة وتحقيق رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضى الباجى عليها .
- ١٣ - ترجمة دراسة المستشرق جيمس دونرو لوثيئة أندلسية حول سقوط غرناطة واضطهاد المسلمين بها .

المحتويات

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير	٩
مقدمة	١١
القسم الأول - (بين يدي الرسالتين)	١٣
١ - التعريف بأبي الوليد الباجي	١٥
٢ - دعوة الباجي إلى الوحدة الأندلسية	١٨
٣ - ابن قتيبة وأبو الوليد الباجي	٢٢
٤ - الباجي وابن حزم	٢٥
٥ - سرقسطة والمقتدر بالله	٢٦
٦ - قيمة الرسالتين	٣٠
٧ - تكرار هذه الرسائل بين الراهب والمقتدر بالله	٣٢
٨ - الرسالتان في دراسات المستشرقين	٣٣
٩ - نبذة عن محتوى الرسالتين	٣٨
القسم الثاني - رسالة راهب فرنسا إلى المقتدر بالله أمير سرقسطة	٤٣
القسم الثالث - رسالة القاضي أبي الوليد الباجي	٥٧
- جواب القاضي الباجي عليها	٦١
أهم مراجع تحقيق النص	١٠٣
للمحقق	١٠٨

رقم الإيداع ٨٦/١٦١٥

الترقيم الدولي ٣ - ٥١ - ١٤٣٠ - ٩٧٧

مطبعة دار التأليف

٨ ٤ ٩ شارع يعقوب - بالمالية

تليفون : ٣٥٤١٨٢٥